صوت الإختبار

القس لبيب مبخائيل

All Rights Reserved
جميع الحقوق محفوظة - الرجاء التقيد
جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز نشر أو طبع هذا الكتاب بأي طريقة طباعية أو الكترونية أو وضعها على شبكة الإنترنت إلا بإذن خاص ومكتوب من الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل. يمكنك أن تحتفظ بالكتب والمقالات للإستخدام الشخصي فقط وليس بهدف بيعها أو المتاجرة بها بأية طريقة كانت ومهما كانت الأسباب.

تلخيص الكتاب

صوت الإختبار يبقى اهم صوت في حياة المؤمن لأنه يكون بداية بصيصه لنور المسيح ومن الممكن ان ينسى المرء اضخم واروع الأمور ولكن لا ينسى حدث إختبار الولاده الجديده والمسيحية تظل صورة بلا حياة بالنسبة للمرء الذي لم يختبر قوتها في قلبه ولم تغير تأثيراتها أهداف حياته.واول إختبار هو يد الله في الخلق ,اختبار الخطية والخلاص بالمسيح ,اختبار قيادة الله في قوة الصلاة و متى انعدمت الصلاة انعدم معها الدين الحقيقي الحي ,الإختبار في الزواج مدققاً في هذا الفصل على كيفية اختيار الشريك والإحتفاظ بالسعادة الزوجية ,إختبار الألم ولنذكر دائماً في تجاربنا ما قاله رب المجد لبطرس «لست تعلم أنت الآن ما أنا أصنع ولكنك ستفهم فيما بعد يو ١٣: ٧.

تقديم الكتاب

الاختبار هو المعلم الأعظم الذي يأخذ بيد كل فرد، وهو الجامعة الكبرى للإنسان في هذا الوجود. وعندما يتكلم الاختبار يسكت كل صوت معارض، ذلك لأن صوت الاختبار هو صوت الواقع، وصوت الواقع أبلغ من منطق المترافع.

ويبدو هذا الحق جلياً في قصة ذاك الشاب الأعمى الذي فتح رب المجد عينيه، فقد أراد الفريسيون أن يبعدوه عن الإيمان بشخص المسيح الكريم، بقولهم «نحن نعلم أن هذا الإنسان خاطئ» ولكن الشاب الذي عاد إليه نور البصر بعد طول ظلام أجابهم بلغة الاختبار قائلاً «أخاطئ هو. لست أعلم. إنما أعلم شيئاً واحداً إني كنت أعمى والآن أبصر» وهكذا أبطل صوت الاختبار حجة الفريسيين المعارضين.

والمسيحية تظل صورة بلا حياة بالنسبة للمرء الذي لم يختبر قوتها في قلبه، ولم تغير تأثيراتها أهداف حياته.

والسواد الأعظم ممن يدينون بالمسيحية اليوم، مسيحيتهم في عقولهم لا في قلوبهم، وهي مسيحية صناعية لا تغني ولا تشبع من جوع، لأنها عبارة عن مجموعة من العقائد تلقنها أصحابها في دور من أدوار حياتهم دون أن يختبروا فاعلية هذه العقائد في نفوسهم.

لكن المسيحية الحقة هي مسيحية الاختبار الشخصي مع الله، فالشخص الذي لم تشبعه ملذات العالم، ولم ترو ظمأ قلبه، يلجأ إلى الله، فيختبر أنه نبع القوة في حياة البشر، ويدرك من الاختبار أن الخطية هي سر شقاء الفرد، والأسرة، والمجتمع، ويتأكد أنه في مقدور الإنسان أن يختبر بنفسه خلاص الله.

ويقوده اختباره لخلاص قوة الصلاة، ويجعله يلبس بنفسه قيادة الله. فتصير حياته في مختلف مناحيها رغم ما يمكن أن يكتنفها من آلام، حياة ضاحكة هنيئة مليئة بالمسرات.

وكتاب «صوت الاختبار» الذي بين يدي القارئ الكريم هو سجل حافل بشتى المواضيع التي تتصل باختبار الفرد.

والغرض الأسمى من كتابة هذا الكتاب هو أن يجعلك تمسك بالله بكلتا يديك ويزيل الشكوك العالقة برأسك، ويقودك أن تختبر الله في داخل قلبك، وتتلذذ به في أعماقك، فتقول مع يوحنا الرسول الحبيب: «الذي كان من البدء الذي سمعناه الذي رأيناه بعيوننا. الذي شاهدناه ولمسته أيدينا .. الذي رأيناه وسمعناه نخبركم به» بل تضم صوتك مع صوت أيوب بعد أن تعمق اختباره مع الله قائلاً «بسمع الأذن قد سمعت عنك والآن رأتك عيني لذلك أرفض وأندم في التراب والرماد». فإن أوصلك هذا الكتاب المتواضع إلى هذا الاختبار الثمين، وأزاد إيمانك بشخص المسيح الكريم، فقد أدى رسالته الكبرى، وليس عليك إلا أن تنحني شاكراً أمام الله، الذي منه وبه وله كل الأشياء، والذي إليه نقدم كل سجود وحمد.

شبرا مصر في ١٧ سبتمبر ١٩٥٤

القس لبيب ميخائيل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

الفصل الأول: الله في اختبار الفرد

يبدأ المزمور الثالث والستون، وهو مزمور لداود لما كان في برية يهوذا بهذه الكلمات الجليلة «يا الله إلهي أنت. إليك أبكر. عطشت إليك نفسي يشتاق إليك جسدي في أرض ناشفة ويابسة بلا ماء» مزمور ٦٣: ١

وبنفس الأسلوب يعبر المزمور الثاني والأربعون وهو قصيدة لبنى قورح عن ذات الإحساس، إحساس الاشتياق إلى الله فيقول «كما يشتاق الإيل إلى جداول المياه هكذا تشتاق نفسي إليك يا الله. عطشت نفسي إلى الله إلى الإله الحي. متى أجئ وأتراءى قدام الله» مزمور ٤٢: ١ و ٢

وفي كلمات هذين المزمورين نجد نغمة واحدة تعزف على قيثارة القلب الإنساني عندما ينحني من الآلام وتحيط به ضيقات الحياة فتدفعه للإلتجاء إلى الله؟!

لكن هل هذا هو اختبار كل إنسان في هذا الوجود؟

في الواقع أن البشر ينقسمون في موقفهم تجاه الإيمان بالله إلى ثلاثة أنواع، نوع ينكر وجود الله، هؤلاء هم دعاة الإلحاد الذين يحتجون لدعوتهم بأدلة يحسبونها علمية حتى ليقول بعضهم: إن العلم والإيمان نقيضان لا يجتمعان. ونوع يؤمن بوجود الله على أساس التلقين، وأساس الشعور، أو أساس التعاليم التي يحفظونها دون تفكير وهذه أسس لا تصلح لبناء الإيمان السليم. أما النوع الثالث فهم أولئك الذين يؤمنون بالله على أساس من الفهم، والإدراك، لحقيقة الوحي وحقائق هذا الوجود، وهذا هو الإيمان الاختباري الذي يقي الإنسان الزلل في هذا العصر الذري، المادي، الشرير.

وفي هذا الفصل سوف نتحدث عن الله في وجوده الأزلي، وفي صلة هذا الوجود باختبار الفرد، والحديث عن الله هو أقدس حديث وأخطر حديث، ولكنه حديث ضروري جداً، فكم من مرات نسأل الآخرين أو نتساءل بيننا وبين أنفسنا قائلين: من هو الله؟ وماذا يشبه الله؟ وكيف نتيقن من وجود الله؟

وتلمع هذا الأسئلة في ذاكرتنا بصورة ملموسة عندما تنزل بنا نائبة من نوائب الدهر، أو يغزو أجسادنا مرض من الأمراض! وقد يتناسى الإنسان هذه الأسئلة في غمرة الحياة ومعركة العيش، لكنه يعود فيسمع من تحت صخب النهار، ومن بين الأصوات الصارخة في معركة الحياة، صوتاً خافتاً يحاول دائماً أن يصل إلى أذنيه، وخصوصاً عندما يتعب فيحتاج إلى القعود، أو عندما يأوى إلى ركن هادئ يجفف عن وجهه عرق الجهاد، أو عندما يجلس في هدأة الليل يرعى أشياء هذه السماء.

أجل! فعندما يرعى الإنسان السماء، يرعى نجومها، يرعى جلالها، يرعى جمالها، يزداد هذا الصوت الخافت في آذانه، ثم يزداد حتى يصير دوياً عالياً: هذه السماء ما هي؟ وهذه النجوم ما أعدادها؟ وما أبعادها؟ وما فتات من النور مبعثر في هذه القبة البلقاء بعثرة الرمال في الصحراء. وكيف تحور هذه القبة وكيف تدور؟ وما شروق لها وما غروب؟ وما هذه المواعيد التي تضربها فلا تخلف عنها أبداً؟ وعندئذٍ يقوده إمعان النظر، ورفع البصر، إلى أن يمعن الفكر، فيرد كل هذه المعاني وهذه الصور إلى ذلك الصانع الواحد:

إلى الله العزيز الحكيم ... فهذه يده ... وتلك إرادته وحكمته وقدرته. لكن بعض الذين طمست أبصارهم. وأظلت عيونهم لا يرون في هذا الوجود العجيب، وفي هذه الخليقة الرائعة يد الله، بل يدعون أنها الصدفة المحضة التي أوجدت ما يرون!!

ومع أن هذا الكتاب ليس كتاباً علمياً. لكننا سنحاول فيما يأتي من حديث أن نورد البراهين العلمية والفلسفية المؤكدة لحقيقة وجود الله، عسى أن تكون هذه البراهين واسطة في هداية نفس مخلصة إلى يقين الإيمان بالله.

البراهين العلمية والفلسفية على حقيقة وجود الله

في عام ١٩٤٧ كتب أ. كريسي موريسون الرئيس السابق لأكاديمية العلوم بنيويورك كتاباً أسماه «الإنسان لا يقف وحده» وذكر المؤلف الأشهر في كتابه الثمين عدة أسباب لإيمانه الشخصي بالله نوردها في إيجاز وتركيز مع ذكر ما ينطبق عليها من آيات الكتاب المقدس البينات، ومع الجديد من المعلومات.

قال كريسي موريسون، أنا أؤمن بوجود الله على أساس سليم من البحث العلمي وأسجل فيما يلي أسباب هذا الإيمان.

١- أنا أؤمن بوجود الله، لأن الناموس الرياضي الذي لا يتبدل، والتناسق العجيب في عالمنا الفذ، والروعة الظاهرة في نظام الحياة تؤكد هذا الوجود:

إن الناموس الرياضي الذي لا يتبدل يؤكد في وضوح صريح بأن العالم لا يمكن أن يكون قد وجد بمجرد المصادفة ... خذ عشرة قروش وارقمها من واحد إلى عشرة ثم ضعها في جيبك واخلطها ما استطعت، ثم حاول أن تخرجها من جيبك دون أن تنظر بحسب ترتيب أرقامها: الأول أولاً والثاني ثانياً وهكذا، على أن تعيد كل قرش تخرجه من جيبك بعد إخراجه ثم تخلطها جميعاً وتخرج القرش الذي يليه، ونحن نعلم أن الاحتمال الرياضي لإخراج القرش الأول أولاً هو واحد من عشرة، ولإخراج القرشين الأول والثاني بهذا الترتيب هو واحد من مئة، ولإخراج القروش الثلاثة الأولى على التوالي هو واحد من ألف وهكذا، فالاحتمال الرياضي لإخراج القروش العشرة تباعاً من واحد إلى عشرة يبلغ رقماً لا يصدق يصل إلى نسبة واحد من عشرة ملايين، وهذا المثل الحسابي يبين كيف تتكاثر الأعداد ضد المصادفة. إذ لا بد للحياة فوق أرضنا من شروط جوهرية عديدة بحيث يصبح من المحال حسابياً أن يكون العالم قد وجد بمجرد المصادفة.

فبحق قال داود في المزمور «السموات تحدث بمجد الله. والفلك يخبر بعمل يديه. يوم إلى يوم يذيع كلاماً وليل إلى ليل يبدي علماً. لا قول ولا كلام. لا يسمع صوتهم. في كل الأرض خرج منطقهم وإلى أقصى المسكونة كلماتهم. جعل للشمس مسكناً فيها. وهي مثل العروس الخارج من حجلته. يبتهج مثل الجبار للسباق في الطريق. من أقصى السموات خروجها ومدارها إلى أقاصيها ولا شيء يختفي من حرها» مزمور ١٩: ١ – ٦ وتبدو هذه الكلمات في روعتها وصدقها الكامل عندما نتأمل هذه الأرض التي نعيش عليها، فلقد أمكن تقسيم الكرة الأرضية إلى أقسام دائمة، ووضع خطوط طول وخطوط عرض لها، وتحديد حجمها وسرعتها في مدارها حول الشمس وقد وجد أن سرعتها ثابتة للغاية لدرجة أن اختلاف ثانية واحدة في مدى قرن من الزمان يمكن أن يقلب التقديرات الفلكية رأساً على عقب. وتدور الكرة الأرضية حول محورها مرة في كل أربع وعشرين ساعة، أو بمعدل نحو ألف ميل في الساعة، ولو أنها دارت بمعدل مائة ميل في الساعة فقط لصار نهارنا وليلنا أطول مما هما الآن عشر مرات، ولأحرقت شمس الصيف الحارة نباتاتنا في كل نهار، وتجمد كل نبت في الأرض في الليل الطويل.

وفوق ذلك فإن كرتنا الأرضية مائلة بزاوية قدرها ٢٣ درجة، ولو أنها لم تكن مائلة بهذا القدر لكان القطبان في حالة غسق دائم، ولصار بخار الماء المنبعث من المحيطات يتحرك شمالاً وجنوباً مكدساً في طريقه قارات من الجليد.

وتعال بنا لنتأمل القمر، وهو الكوكب الذي يصحب أرضنا، فحركاته محددة، وسياق تغيراته يتكرر كل ١٨ سنة، وهو يبعد عنا مسافة ٢٤٠,٠٠٠ ميل، ولو أنه يبعد عنا خمسين ألف ميل مثلاً بدلاً من المسافة الشاسعة التي يبعد بها فعلاً، فإن المد الذي يحدث بالمحيط، كان يبلغ من القوة بحيث أن جميع الأراضي التي تحت منسوب الماء، كانت تغمر مرتين في اليوم بماء متدفق يزيح الجبال نفسها، ومعنى هذا أن الكرة الأرضية كانت تتحطم من هذا الاضطراب، وكان المد الذي في الهواء يحدث الأعاصير كل يوم.

ولنتقدم الآن خطوة لندخل إلى هيكل الحياة! هل قلت الحياة؟ لكن ما هي الحياة؟ إن الواقع يؤكد لنا أنه لم يستطع إنسان ما أن يدرك كنه الحياة، لأن الحياة لا وزن لها، ولا حجم، ولا طول، ولا عرض، ولا كثافة، ومع ذلك فما

أكبر القوة المذخرة في الحياة، فالجذر النامي يقدر أن يشق الصخر الجامد، والنملة التي تدب بأقدامها المتناهية الصغر تقدر أن تتسلق الجبل الشامخ، وقد سيطرت الحياة على كل عناصر هذا الكون الفسيح.

والحياة كمثال، تشكل الكائنات الحية، وهي كفنان ترسم كل ورقة في كل شجرة، وتلون الأزهار، والتفاح، والغابات، وريش الطيور، وتضع اللمعان في عيني الطفل الصغير وتملأ فمه بالضحكات، وهي كموسيقى تعلم كل طير كيف يشدو بأغانيه، وتلهم حتى الحشرات أن تدعو بعضها بعضاً بموسيقى أصواتها ... والحياة هي الكيميائي الأكبر فهي التي تهب لكل فاكهة مذاقها، ولكل وردة عطرها، وتحول الماء وحمض الكربونيك إلى سكر وخشب، وتطلق الأوكسجين حتى تستطيع الحيوانات أن تتنفس نسمات الحياة!!

لكن هل هذا كل ما في أرضنا، قف الآن لحظة في معمل الطبيعة السحري، لتفكر في الهواء الذي تستنشقه والذي يحفظ الحياة في الأرض، فلو كانت قشرة الأرض أسمك مما هي بمقدار بضعة أقدام لامتصت ثاني أوكسيد الكربون والأوكسجين، ولما أمكن وجود حياة النبات. وهناك احتمال بأن قشرة الأرض والمحيطات السبعة قد امتصت كل الأوكسجين وأن ظهور جميع الحيوانات التي تستنشق الأوكسجين قد تأخر انتظاراً لظهور النباتات التي تلفظ الأوكسجين. وهذا ينطبق بشكل يثير التفكير على ما ورد بسفر التكوين الإصحاح الأول، فبعد أن اجتمعت المياه في مكان واحد وظهرت اليابسة قال الله «لتنبت الأرض عشباً وبقلاً يبذر بذراً وشجراً ذا ثمر يعمل ثمراً كجنسه بزرة فيه على الأرض وكان كذلك» تكوين ١: ١١ ثم بعد ذلك قال الله لتخرج الأرض ذوات أنفس حية كجنسها. بهائم ودبابات ووحوش أرض كأجناسها. وكان كذلك تكوين ١: ٢٤ فما سبب خلقه الحيوانات بعد النباتات؟ إن سبب هذا بحسب التعليل العلمي إيجاد النباتات التي تلفظ الأوكسجين وهو عنصر ضروري للحياة لتأثيره في عناصر الدم، وفي أجزاء الجسم، وبدونه تتوقف عمليات الحياة، وكما أن الأوكسجين ضروري لحياة الإنسان والحيوان، كذلك تعتمد حياة كل نبات على المقادير التي تكاد تكون متناهية الصغر من ثاني أوكسيد الكربون الموجود في الهواء، فكيف وجد هذان العنصران الضروريان لحياة النبات والحيوان؟ لكن نوضح هذا التفاعل الكيماوي المركب بأبسط طريقة ممكنة نقول: إن أوراق الشجر هي رئات وأن لها القدرة في ضوء الشمس على تجزئة ثاني أوكسيد الكربون العنيد إلى كربون وأوكسجين، فهي تلفظ الأوكسجين وتحتفظ بالكربون متحداً مع هيدروجين الماء الذي يستمده النبات من جذوره، ويحوله بكيمياء سحرية إلى سكر، أو سيلولوز، ومواد كيميائية أخرى عديدة، وهكذا يغذي النبات نفسه وينتج فائضاً يكفي لتغذية كل حيوان على وجه الأرض، وفي الوقت نفسه يلفظ لنا الأوكسجين الذي نتنسمه والذي بدونه تنتهي الحياة في الأرض بعد دقائق.

ولو كانت هذه المقايضة غير قائمة بين الحيوان والنبات، فإن الحياة الحيوانية أو النباتية كانت تستنفذ في النهاية كل الأوكسجين أو كل ثاني أوكسيد الكربون، ومتى اختل التوازن ذوي النبات أو مات الحيوان. فمن ذا الذي أوجد هذا التوازن الرائع في الحياة سوى المبدع العزيز الحكيم؟ ولنذكر أنه لو كان الهواء أرق مما هو فإن بعض الشهب التي تتهاوى كل يوم وتحترق في الهواء الخارجي بالملايين كانت تضرب في جميع أجزاء الأرض وتشعل كل شيء قابل للاحتراق، وتمزق جسم أي إنسان تصطدم به وهي تسير بسرعة تتراوح بين ستة أميال وأربعين ميلاً في الثانية، لكننا نرى أن الهواء سميك بالقدر اللازم بالضبط لمرور الأشعة ذات التأثير الكيميائي التي يحتاج إليها الزرع، والتي تقتل الجراثيم وتنتج الفيتامينات دون أن تضر بالإنسان.

ولنفحص الآن «النتروجين» وهو مع كونه غازاً جامداً يعمل كمخفف للأوكسجين، بيد أن هناك سلسلة من المواد الكيميائية التي يعد النتروجين جزءاً منها، والتي يطلق عليها بصفة عامة اسم «النتروجين المركب» وهو عنصر هام لنمو النباتات الغذائية التي بدونها يموت الإنسان جوعاً. والوسيلة الأولى التي يدخل بها النتروجين في التربة الزراعية هي عن طريق نشاط جراثيم معينة تسكن في جذور النباتات البقلية مثل البرسيم والفول والحمص وغيرها، وهذه الجراثيم تأخذ نتروجين الهواء وتحيله إلى نتروجين مركب، وحين يموت النبات يبقى بعض هذا النتروجين المركب في الأرض لإخصابها.

أما الوسيلة التي يدخل بها النتروجين إلى الأرض، فهي عن طريق عواصف الرعد، فكلما ومض برق خلال الهواء وحد بين قدر قليل من الأوكسجين والنتروجين فيسقطه المطر إلى الأرض كنتروجين مركب، ومن عجب أن هذا ما يقرره سفر أيوب في القول «من فرع قنوات للهطل وطريقاً للصواعق ليمطر على أرض حيث لا إنسان ... ليروي البقلع والخلاء. وينبت مخرج العشب» أيوب ٣٨: ٢٥ – ٢٧ فحيث لا إنسان ينبت العشب للحيوان، يرتب الله طريقاً للصواعق التي تولد النتروجين المركب لينبت مخرج العشب !!

لكن حيث وجد الإنسان، وطال وقت زرع الأرض حتى فقدت ما بها من نتروجين، ووضح للناس أن الموت جوعاً هو احتمال قد يقع في المستقبل، أرشد الخالق القدير الإنسان إلى الطرق التي أمكنه بها إنتاج النتروجين المركب من الهواء، وهكذا زال ذلك الخوف من حدوث المجاعات.

والسؤال الذي يواجه الشخص العاقل بعد أن يفكر في هذه الحقائق الرائعة، هو: من الذي أوجد هذا التوازن العجيب في عناصر الخليقة حتى بلغ هذا التوازن من الكمال إلى حد أنه لم يعتوره أي تغيير على مدى القرون والأزمان؟ ومن ذا الذي أوجد هذا الإتقان الرائع في هذا الكون الجميل!؟

إن الإنسان المفكر لا يستطيع أن يجيب عن هذا السؤال إلا بتلك الكلمات التي سجلها أشعياء النبي حين قال «ألا تعلمون ألا تسمعون. ألم تخبروا من البداءة. ألم تفهموا من أساسات الأرض الجالس على كرة الأرض وسكانها كالجندب الذي ينشر السموات كسرداق ويبسطها كخيمة للسكن ... ارفعوا إلى العلاء عيونكم وانظروا من خلق هذه من الذي يخرج بعدد جندها يدعو كلها بأسماء. لكثرة القوة وكونه شديد القدرة لا يفقد أحد» أشعياء ٤٠: ٢١ – ٢٦

يقيناً أننا «بالإيمان نفهم أن العالمين أتقنت بكلمة الله» عب ١١: ٣ فنردد مع صاحب المزمور «ما أعظم أعمالك يا رب كلها بحكمة صنعت ملآنة الأرض من غناك» مزمور ١٠٤: ٢٤.

٢- أنا أومن بوجود الله لأن حكمة الغريزة في الحيوان، والعقل الموهوب للإنسان يؤكدان هذا الوجود:

عندما تكلم أيوب محاولاً أن يعلل آلامه بكلمات لا تتفق مع قصد الله، أجابه الرب من العاصفة موجهاً نظره إلى هيكل الطبيعة والأعاجيب التي فيه كما يرى الدارس لهذا السفر في الإصحاح الثامن والثلاثين، ثم انتقل به في الإصحاح التاسع والثلاثين إلى التأمل في مملكة الحيوان فسأله قائلاً «أتعرف وقت ولادة وعول الصخور أو تلاحظ مخاض الأيائل. أتحسب الشهور التي تكملها أو تعلم ميقات ولادتهن يبركن ويضعن أولادهن. يدفعن أوجاعهن تبلغ أولادهن تربو في البرية. تخرج ولا تعود إليهن. من سرح الفراء حراً ومن فك ربط حمار الوحش الذي جعلت البرية بيته والسباخ مسكنه يضحك على جمهور القرية. لا يسمع زجر السائق. دائرة الجبال مرعاه وعلى كل خضرة يفتش؟ أيرضى الثور الوحشي أن يخدمك أن يبيت عند معلفك. أتربط الثور الوحشي برباطه في التلم أن يمهد الأودية وراءك. أتثق به لأن قوته عظيمة أو تترك له تعبك أتأتمنه أنه يأتي بزرعك ويجمع إلى بيدرك؟ جناح النعامة يرفرف أفهو منكب رأوف أم ريش لأنها تترك بيضها وتحميه في التراب وتنسى أن الرجل تضغطه أو حيوان البر يدوسه. تقسو على أولادها كأنها ليست لها. باطل تعبها بلا أسف. لأن الله قد أنساها الحكمة ولم يقسم لها فهماً ... أمن فهمك يستقل العقاب وبنشر جناحيه نحو الجنوب أو بأمرك يحلق النسر ويعلى وكره؟ يسكن الصخر ويبيت على سن الصخر والمعقل. من هناك يتحسس قوته. تبصره عيناه من بعيد. فراخه تحسو الدم وحيثما تكن القتلى فهناك هو، أيوب ٣٩: ١ – ٣٠

ويقيناً من ذا الذي يتأمل حكمة الغريزة في الحيوان ولا يقول مع أيوب «ها أنا حقير فماذا أجاوبك. وضعت يدي على فمي» أيوب ٤٠: ٨

قف لحظة لتتأمل أنثى فراشة تدخل من خلال نافذة حجرتك! فإن هذه الفراشة لا تلبث حتى ترسل إشارة خفية إلى الذكر وقد يكون الذكر على مسافة بعيدة عنها ولكنه يتلقى تلك الإشارة ويجاوبها مهما أحدثت أنت من رائحة

لتضليلهما! ترى هل لتلك المخلوقة الضئيلة محطة إذاعة لاسلكية؟ وهل لذكر الفراشة جهاز استقبال عقلي؟ ومن أين له السلك اللاقط للصوت؟ لقد اخترع الإنسان الراديو، ولكن الفراشة لا تزال متفوقة عليه من هذه الوجهة إذ أنها تتصل بذكرها دون حاجة إلى أسلاك.

وقد قام البروفسور هنري بيجلي الأستاذ بجامعة بنسلفانيا بدراسة طويلة لمعرفة الحمام الزاجل وكيفية طيرانه، حتى كشف عن ناحية علمية دقيقة أفادت العلوم وأماطت اللثام عن لغز ذلك الطير النادر، فقد كان يظن أن الحمام يعرف المغناطيسية الأرضية، وتحول ظنه إلى يقين عندما وضع في أجنحة الحمام صفائح مغناطيسية رقيقة فاختلط عليه الأمر وفقد طريق العودة إلى مراكزه، ثم تبين له أن المغناطيسية الأرضية ليست العامل الوحيد في مقدرة الحمام على تعرف طريق العودة إلى مراكزه، بل أن للقوة المتولدة من دوران الأرض علاقة كبيرة بمعرفته للطريق، فالحمام يشعر بجذب هاتين القوتين المتحدتين معاً ومن ثم يسير على هديهما فلا يضل الطريق مطلقاً.

وتعجب فوق ذلك عندما تعلم أن الجراد البالغ من العمر سبع عشرة سنة في ولاية نيوانجلاند يغادر شقوقه تحت الأرض، حيث عاش في ظلام، ويظهر بالملايين في شهر مايو من سنته السابعة عشرة ويضبط موعد ظهوره باليوم تقريباً دون سابقة ترشده. وهناك أشياء عجيبة أكثر من هذه يعرفها المتخصصون في دراسة غرائز الحيوان، فمن أين للحيوان هذه الحكمة في غريزته لو لم تكن من الله الخالق الحكيم!!

لكن حكمة الحيوان، ليست شيئاً بالقياس إلى عقل الإنسان فبحق قال أليهو لأصحاب أيوب وهو يرى صمتهم بإزاء حججه «قلت الأيام تتكلم وكثرة السنين تظهر حكمة، ولكن في الناس روحاً ونسمة القدير تعقلهم» أيوب ٣٢: ٧ و ٨

فالعقل هو هبة الله لبني الإنسان، ومما يدعو إلى أشد العجب أنه في أنواع الحياة الحيوانية التي لا تحصى لا يوجد أي مظهر للعقل، بل توجد الغرائز وحدها، ولذا فإن أي حيوان لم يسجل لنفسه قدرة على هندسة قصر منيف، ولم يستطع أن يعد إلى عشرة، أو أن يفهم مسألة حسابية بسيطة، لأنه لا يملك سوى غريزته ... والغريزة ليست إلا لحناً واحداً على قيثارة، بينما العقل البشري يحتوي كل الأنغام لكل الآلات الموسيقية في فرقة كاملة.

فقد استطاع الإنسان بعقله المفكر أن يخرج قطعاً موسيقية متحدة النغم نسميها «سمفونيات»، وأن يتسلط على الهواء، فركب الطائرات التي جعلت سرعته أعظم من سرعة الطير، وهو الذي اخترع الراديو فأوصل صوته عبر المحيطات، وعرف المقاييس الهندسية فبنى الأهرامات، وصنع لنفسه عيناً أحد من عين النسر هي الميكرسكوب وقرّب لنظره أبعد الكواكب بواسطة التلسكوب .. وهو بهذا العقل العجيب يتعلم الحساب، والكيمياء، وعلم الأحياء، والجغرافيا، ويعرف مع هذا كله شتى اللغات، وهو الذي اكتشف بتفكيره وملاحظته الأمصال الواقية من الأمراض، وأخيراً قدر أن يفتت الذرة وهي أصغر قالب في بناء هذا الكون العظيم.

وهذا العقل الجبار الذي يتمتع به الإنسان هو أكبر دليل على أن هناك عقلاً أسمى وراء عقله، هو عقل الله القادر على كل شيء.

٣- أنا أومن بوجود الله لأن ظاهرات عوامل الوراثة، ودراسة جسم الإنسان والضوابط الموجودة في الحياة تؤكد هذا الوجود:

يرنم داود لله في المزمور التاسع والثلاثين قائلاً «لأنك أنت اقتنيت كليتي. نسجتني في بطن أمي. أحمدك من أجل أني قد امتزت عجباً (والترجمة الحرفية أحمدك لأني خلقت بشكل رائع مخيف) عجيبة هي أعمالك ونفسي تعرف ذلك يقيناً. لم تختف عنك عظامي حينما صنعت في الخفاء ورقمت في أعماق الأرض رأت عيناك أعضائي وفي سفرك كلها كتبت يوم تصورت إذ لم يكن واحد منها، مزمور ١٣٩: ١٣ – ١٦

ويظهر هذا الكلام في ملء صدقه عندما نتأمل تكوين الإنسان، فمع أن الإنسان في تكوينه يشبه فصائل «السيميا» وهي فصائل الأورانجتان والغوريلا والشمبانزي، إلا أن هذا الشبه ليس برهاناً على أننا من نسل القرود، أو أن تلك

القرود هي ذرية منحطة للإنسان.

ولا شك في أن نظرة مفكرة في علم وحدات الوراثة (الجينات) يقطع الطريق على أتباع نظرية التطور، ويؤكد لنا وجود الخالق العظيم، فهذا العلم يرينا أن كل خلية ذكراً كانت أو أنثى تحتوي كرموزومات (والكروموزوم Chromosomهي وحدة المادة العضوية والعامل في نقل الصفات الوراثية) وتحتوي الخلية كذلك على جينات (والجينات Genes هي العامل الرئيسي الحاسم فيما يكون عليه كل كائن حي أو إنسان) وتحتوي كذلك على السيتوبلازم (والسيتوبلازم Cytoplasm هي المادة البروتوبلازمية التي حول نواة الخلية) وتبلغ الجينات من الدقة أنها وهي المسؤولة عن المخلوقات البشرية جميعاً التي على سطح الأرض من حيث خصائصها الفردية، وأحوالها النفسية وألوانها، وأجناسها، لو جمعت كلها ووضعت في مكان واحد لكان حجمها أقل من حجم جوزة صغيرة .... أفلا يدهشك بحق أن خواص ألفي مليون من البشر تحشد في مكان صغير كهذا؟! إن الأمر المتفق عليه هو أن «الجينات» تحفظ التصميم، وسجل السلف، والخواص التي لكل كائن حي، وبناء على قانون. وحدات الوراثة لم تحمل شجرة بلوط قط عنباً، ولم تلد لبوة فأراً. ولم يلد حوت سمكة! وحقول القمح المتماوجة هي قمح في كل حبة من. حباتها، لأن قانون الوراثة يقرر قطعاً كل نوع من الحياة من البداية إلى النهاية، ويجعل جميع طوائف الكائنات الحية تنفصل بعضها عن بعض بهوات سحيقة لا يمكن عبورها. حتى أن الحيوانات المتقاربة ينفصل بعضها عن بعض كذلك بموجب هذا القانون.

وهذا ينطبق تماماً على ما جاء في سفر التكوين إذ نقرأ هذه الكلمات «وقال الله لتنبت الأرض عشباً وبقلاً يبزر بزراً وشجراً ذا ثمر يعمل ثمراً كجنسه بزره فيه على الأرض وكان كذلك» تك ١: ١١ «وقال الله لتخرج الأرض ذوات أنفس حية كجنسها. بهائم ودبابات ووحوش أرض كأجناسها. وكان كذلك» تك ١: ٢٤ «وعاش آدم مئة وثلاثين سنة وولد ولداً على شبهه كصورته» تك ٥: ٣

فهل تثير تفكيرك هذه المعلومات الجديدة؟ تعال معي لكي ندرس معاً ذلك الجسم البشري العجيب، الذي يقضي طالب الطب في دراسته حوالي سبع سنوات!! إن بصمات الأصابع في أيدي سكان الأرض تختلف في كل واحد عن الآخر، حتى أضحت هذه البصمات دليلاً قوياً على تحقيق شخصية الفرد. فكيف جاء هذا الفرق في خطوط البصمات إن لم يكن وراء خلقة الإنسان يد الخالق المبدع الحكيم؟

ثم انظر إلى عملية الهضم في جسم الإنسان، فهي عملية عجيبة تدعو إلى التأمل الكثير، فنحن نضع في هذا المعمل المسمى «المعدة» أنواعاً من الطعام، دون مراعاة للمعمل نفسه أو تفكير في كيفية معالجة كيمياء الهضم له، فنحن نأكل شرائح اللحم، والحنطة، والسمك، والفاصولياء، وندفعها بقدر من الماء، ونأكل معها خبزاً، وبقولاً وقد نضيف إلى كل ذلك كبريتاً، وعسلاً أسود، ومن بين هذا الخليط تختار المعدة تلك الأشياء ذات الفائدة، وذلك بتحطيم كل صنف من الطعام إلى أجزائه الكيماوية دون مراعاة للفضلات وتعيد تحويل الباقي إلى بروتينات جديدة تصبح غذاء لمختلف الخلايا وتختار أداة الهضم، الجير والكبريت، واليود والحديد، وكل المواد الأخرى الضرورية وتعنى بعدم ضياع الأجزاء الجوهرية، وبإمكان إنتاج الهرمونات، وبأن تكون جميع الحاجات الحيوية للحياة حاضرة في مقادير منتظمة ومستعدة لمواجهة كل ضرورة، وهي تخزن الدهن، والمواد الاحتياطية الأخرى للقاء كل حالة طارئة مثل الجوع، وتفعل ذلك كله بالرغم من تفكير الإنسان أو تعليله، وهكذا يقدم هذا المعمل المنظم لكل خلية من بلايين الخلايا التي تبلغ من العدد أكثر من عدد الجنس البشري كله على وجه الأرض غذاءها اللازم لها وحدها، ويعطي لكل خلية المواد التي تحتاج إليها لتحويلها إلى عظام، أو أظافر، أو لحم، أو شعر، أو أسنان كما تتلقاها الخلية المختصة في إتقان عجيب.

وفي حالة العدوى بجراثيم معادية يحتفظ هذا الجهاز الرائع بجيش قائم باستمرار على أهبة الاستعداد لملاقاة الغزاة، وإنقاذ حياة الإنسان من الموت قبل الأوان.

وفوق هذه الروعة في خلقة جسم الإنسان نجد قانون الضوابط والموازين في الحياة، فالحشرات الوافرة النسل لا تكبر لأنه ليس لها رئات كرئات الإنسان، ولولا هذا لسيطرت الحشرات على هذه الأرض، وعصير الليمون يعالج مرض الأسقربوط اللعين، والتهابات الجسم يعالجها البنسلين، والقطط تأكل الفيران!! والذرة يحفظها قانون الضوابط من الملاشاة والتحطيم، وهكذا نرى أن الضوابط تتحكم في أصغر أجزاء هذا الكون الفسيح مؤكدة وجود ذلك الذي قال عنه الكتاب «حامل كل الأشياء بكلمة قدرته»!!

ويلذ لنا أن نذكر هنا كشف عالمان جليلان هما سبالانزاني Spellanzani وباستير Pasteur، فقد أجرى هذا العالمان عدة تجارب حطما بها الاعتقاد بالنشأة الذاتية للكائنات الحية من مواد عديمة الحياة، ولم يدع عملهما أي شك في انه لا وجود لحياة إلا عن طريق وجود حياة سابقة!! وبناء على هذا الكشف العلمي الدقيق، يمكننا أن نردد مع يوحنا البشير قوله عن رب المجد «كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان. فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس».

٤- أنا أومن بوجود الله لأن القوى الروحية الموجودة في الإنسان وقدرته على تصور وجود الله برهان غذ على حقيقة هذا الوجود:

لنترك ميدان العلم، ولنتقدم لنسمع صوت الفلسفة، فالواقع أن مسألة وجود الله هي مسألة وعي قبل كل شيء فالإنسان له وعي يقيني بوجوده الخاص وحقيقته الذاتية ولا يخلو من وعي يقيني بالوجود الأعظم ولحقيقة الكونية لأنه متصل بهذا الوجود بل قائم عليه.

ومع ذلك فليس في مقدور الإنسان أن يعرف الله معرفة محددة بالمقاييس والموازين، وآلات الاختبار، فهو كالنغم الموسيقي الرائع الذي يثير في الأسماع بهجة ورضى، ويحرك في النفس العواطف والأحاسيس ولكنك لو ذهبت تطلبه بفكرك في طبقات الأثير ترد كل ذبذبة فيه إلى ضوابط من الفن وقواعد من العلم لأعيتك مذاهبه ولا ننهي بك المطاف إلى غير طائل!!

وإذاً فيكفي أن يتصور الإنسان وجود الله، لأن تصور هذا الوجود ينبثق من قدرة علوية في الإنسان لا يشاركه فيها سائر الأحياء هي قدرة التخيل، وبها يستطيع الإنسان دون غيره من الأحياء أن يجد الدليل على أشياء لا يراها، وأن الآفاق التي تفتحها هذه القدرة أمام عينيه لهي آفاق لا حدود لها، والحق أن تخيل الإنسان إذا مادنا من مراتب الكمال وصار حقيقة روحية، استطاع أن يتبين من خلاله دلائل النظام والقصد في الكون، تلك الحقيقة العظمى: إن قدرة السماء في كل مكان، وكل شيء؛ وأن الله في كل مكان وعند كل شيء وهذا هو الإيمان لأن «الإيمان هو الثقة بما يرجى والإيقان بأمور لا ترى» عب ١١: ١

ويمكننا أن نضيف إلى ما تقدم أن وجود القوى الروحية في الإنسان هي في ذاتها برهان قوي على حقيقة وجود الله؛ فالإنسان يتميز بقدرة على الشعور على البعد أو ما يسمى الاتصال التلباثي Telepathy؛ والتوجيه على البعد أو ما يسمى الـ Telergy؛ والاستيحاء الباطني أو ما يسمى Automatism وما إلى ذلك من قوى روحية كامنة فيه. وفوق هذا كله، ففي الإنسان وازع أخلاقي هو قوة الضمير، وهو برهان رائع على وجود الله القدوس القدير! لأنه من أين استوجب الإنسان أن يدين نفسه بالحق كما نعرفه إن لم يكن في الكون مقياس للحق يغرس في نفسه هذا الإحساس؟ ومن أين تقرر في ضمير الإنسان أن الواجب الكريه لديه أولى به من إطاعة الهوى المحبب إليه وإن لم يطلع أحد على دخيلة نفسه، إن لم يكن هناك إله قدوس وضع في الإنسان الإحساس بضرورة القداسة في الحياة؟!

إن صوت العلم، وصوت الفلسفة يتحدان في التدليل على حقيقة وجود الله، حتى إننا يمكننا أن نردد للذين ينكرون هذه الحقيقة كلمات الرسول القائل «لأن غضب الله معلن من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم الذين يحجزون الحق بالإثم إذ معرفة اله ظاهرة فيهم لأن الله أظهرها لهم لأن أموره غير المنظورة ترى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية ولاهوته حتى إنهم بلا عذر» رومية ١: ١٨ – ٢٠. يقيناً «قال الجاهل في قلبه ليس

إله. فسدوا ورجسوا بأفعالهم» مزمور ١٤: ١ فالذي ينكر وجود الله هو جاهل بأدلة العلم، هو جاهل بحقائق الوجود، هو جاهل ببراهين العقل. هو جاهل وكفى، وإنكاره لوجود الله ناشيء عن فساد في حياته الأدبية لوث ضميره، وطمس عينيه. وأعمى بصيرته، وأظلم عقله.

الله في إعلانات الكتاب

هل يكفي أن نعتمد على العلم في معرفة الله والتيقن من وجوده؟ إن العلم بأدلته الجامعة القاطعة، يكشف النقاب عن الله القدير الجبار، ولكنه يشيع إحساساً بالحقارة في قلب الإنسان وفي ذات الوقت يعجز عن أن يعطينا إعلاناً واضحاً عن صفات الله العلي العظيم.

فالعلم يثبت أن الشمس أكبر من الأرض بمقدار مليون وربع مرة! فكم يكون الفرد بالنسبة إلى الأرض؟ وكم يكون بالنسبة إلى الشمس؟ وكم يكون بالنسبة إلى المجموعة الفلكية في هذا الكون الفسيح!؟ إلا ذرة كربون حقيرة لا تكاد ترى إلى بالمجهر!! وهل يعتني الله العظيم القدير بهذا الإنسان الضئيل الحقير؟ بحق ردد داود في المزمور «أيها الرب سيدنا ما أمجد اسمك في كل الأرض حيث جعلت جلالك فوق السموات ... إذ أرى سمواتك عمل أصابعك القمر والنجوم التي كونتها فمن هو الإنسان حتى تذكره وابن آدم حتى تفتقده» مزمور ٨: ١ و ٣- ٥

وأمام هذا الإحساس بالضعة والحقارة، تملأ الشكوك عقل الإنسان من جهة عناية الله به! وإذاً فلا بد من رسالة من السماء تريح قلب الإنسان؛ وتعلن له حب الله وحنانه ورعايته؛ وتخرجه من ظلمات الشكوك إلى نور اليقين؛ وهذا الإعلان السماوي هو الوحي، كلمة الله الموحى بها منه، وهو السبيل الوحيد للإعلان الصحيح عن صفات الله، وعن موقفه وشعوره من جهة الإنسان.

فماذا يقول الكتاب المقدس عن الله؟

١- إن الكتاب المقدس يعلن لنا أن الله روح:

وهذا ما قاله المسيح له المجد في حديثه مع المرأة السامرية «الله روح. والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا» يوحنا ٤: ٢٤، وماهو الروح! إن المعنى الوحيد لهذه الكلمة نجده في كلمات الرب يسوع التي تحدث بها لتلاميذه الخائفين «انظروا يدي ورجلي إني أنا هو. جسوني وانظروا فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي» لوقا ٢٤: ٣٩ فالروح ليس له جسد هيولي، ومع ذلك فإن له وجوداً وقدرة!! ومهما يكن الأمر فليس في وسعنا نحن الذين نعيش في عالم المادة أن نتصور الله بالصورة الحقيقية، لأن مقاييسنا ومعاييرنا مرتبطة بهذه الأرض.

٢- إن الكتاب المقدس يعلن لنا أن الله كائن أزلي:

هذه هي اللغة التي نجدها في ثنايا الكتاب، فهو يرينا أن الله فعل، والله أحب، والله تضايق مع المتضايقين، والله فرح، وهذا يؤكد لنا أن الله كائن أزلي موجود، يشعر، ويحس، ويفكر، ويحب، ويغفر، ويعطف علينا في آلامنا وتجاربنا.

٣- إن الكتاب المقدس يعلن لنا أن الله قدوس بار:

من سفر التكوين إلى سفر الرؤيا، تظهر لنا قداسة الله، وكم من مرات نسمع في ثنايا الوحي المقدس «كونوا قديسين لأني أنا قدوس» ونقرأ كلمات حبقوق «عيناك أطهر من أن تنظرا الشر ولا تستطيع النظر إلى الجور» حب ١: ١٣، وقداسة الله هي التي دبرت موت المسيح، لأنها تتطلب الحكم العادل ضد الخطية، وفي ذات الوقت ترتب للإنسان طريق الخلاص، ولأن الله الذي نعبده إله قدوس بار، أرسل لنا ابنه الحبيب الوحيد، لكي يفتح لنا الطريق للاقتراب منه، ولكننا إذا تجاهلنا الوسيلة التي عينها لخلاصنا، وفشلنا في طاعة وصاياه. فإننا لن نستطيع أن نطلب منه الرحمة في يوم العقاب.

٤- إن الكتاب المقدس يعلن لنا أن الله محبة:

وهذا ما سجله يوحنا التلميذ الحبيب قائلاً «الله محبة» ١ يو ٤: ٨، لكن فلنحذر الفكر القائل: بأنه ما دام الله محبة، فكل شيء سوف يكون جميلاً، وأنه لن يدان أحد من أجل خطاياه لأن الله محبة!! فهذا فكر خاطيء يتعارض مع قداسة الله التي تتطلب دينونة الخطية. فمحبة الله رتبت طريق الفداء «لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» يو ٣: ١٦، لكن قداسة الله لا بد أن توقع على الخاطىء غير التائب العقاب.

الله في اختبار الفرد

إذا كان العلم يثبت وجود الله، والكتاب يعلن صفات الله، فإن اختبار الفرد هو الدليل الملموس في حياة الإنسان لحقيقة وجود الله ويقيناً أن قضية إثبات وجود الله هي قضية اختبارية فوق أنها قضية علمية وفلسفية ..

يحدثنا التاريخ عن ملحد انجليزي اسمه مستر برادلاف أرسل رسالة لرجل الله الأشهر الدكتور تشارلس برايس يتحداه فيها أن يناظره علناً في موضوع وجود الله، لكن الدكتور برايس رد عليه هذا التحدي بتحدي من نوع آخر إذ كتب له رسالة قال فيها ما يلي:

«يا مستر برادلاف! إن المناظرة ما هي إلا مصارعة ذهنية ينطبق عليها القول المأثور، اقنع الإنسان ضد إرادته يبقى على رأيه لا يتحول عنه، فدعنا من المناظرة الكلامية، وبدلاً منها فسأحضر معي إلى صالة المناظرة التي يقع عليها اختيارك مئة شخص يشهدون بأن الإيمان بالله قد رفعهم من الحضيض الأدبي إلى المجد الروحي، وأحضر أنت معك مئة شخص يشهدون بأن الإلحاد قد غير حياتهم، وسما بعواطفهم، وأسعدهم، وإن لم تستطع إحضار مئة شاهد فأنا اكتفي منك بخمسين، وإن لم تستطع إحضار خمسين أكتفي منك بعشرين يشهدون والسرور يشع من عيونهم ويبدو في نبرات صوتهم – كما يشهد المؤمنون بالله – بأن الإلحاد رفع قدرهم وخلص حياتهم، وضمن مستقبلهم، وإن لم تستطع إحضار عشرين أكتفي منك بعشرة فقط, لا بل أخفض الرقم إلى واحد فقط ما مستر برادلاف يشهد بنفس هادئة مطمئنة مقدرة فرحة متأثرة بأن الإلحاد أسبغ عليه كل هذه النعم» وأمام هذا التحدي القائم على الاختبار الشخصي، تنحى مستر برادلاف عن المناظرة، وانتصرت قوة الإيمان بالله على منطق الإلحاد السقيم .. فهل لك اختبار شخصي مع الله؟ وهل أدركت ما يفعله الله للفرد؟ تعال بنا لنرى ماذا يفعل الله للفرد!

١- إن الله يعرف الفرد:

وهذا هو ما يؤكده اختبار داود الذي سجله في قوله «يا رب قد اختبرتني وعرفتني. أنت عرفت جلوسي وقيامي فهمت فكري من بعيد ... لأنه ليس كلمة في لساني إلا وأنت يا رب عرفتها كلها» مزمور ١٣٩: ١ – ٣ بل هذا ما قاله الرب لموسى «لأنك وجدت نعمة في عيني وعرفتك باسمك» خر ٣٣: ١٧، وما قاله السيد له المجد «خرافي تسمع صوتي وأنا أعرفها فتتبعني» يو ١٠: ٢٧، ولما يتيقن الفرد من أن الله يعرفه بالذات، ويرعاه ويهتم به، يستريح قلبه!!

أجل لقد عرف الرب سمعان بطرس باسمه، وعرف شمشون قبل أن يولد، وعرف موسى قبل أن يأتي إلى الأرض، وعرف مريم المجدلية وشاول الطرسوسي، وهو يعرف كل فرد في هذا الوجود، ويفرح برجوع الخاطيء التائب «إنه هكذا يكون فرح في السماء بخاطيء واحد يتوب أكثر من تسعة وتسعين باراً لا يحتاجون إلى توبة» لوقا ١٥: ١٧ بل هو يعرف أعمال كل فرد «أنا عارف أعمالك ومحبتك وخدمتك وإيمانك وصبرك» رؤ ٢: ١٩

يحدثنا رجل من رجال الله عن موظف من موظفي الإحصاء ذهب إلى منزل امرأة فقيرة ليسجل عدد أفراد عائلتها وكان للمرأة ستة عشر ولداً وبنتاً قال موظف الإحصاء للمرأة: كم عدد أولادك يا سيدتي؟ أجابت: بناتي هن رفقة،

وراحيل، وثامار، وراعوث، وابيجايل و... وأرادت أن تستمر لكن الرجل قاطعها قائلاً: أريد جملة العدد لا أسماء الأفراد وابتسمت الأم التي تعرف أولادها وقالت: أنا هنا أعرف كل واحدة وكل واحد باسمه فينبغي إن أردت معرفة عددهم أن تنصت لي.

وهذا هو ذات ما يفعله الله، بل أقل مما يفعله الله لأنه قال «هل تنسى المرأة رضيعها فلا ترحم ابن بطنها حتى هؤلاء ينسين وأنا لا أنساك هوذا على كفي نقشتك، أسوارك أمامي دائماً» أش ٤٩: ١٥ و ١٦ «اسمعوا لي يا بيت يعقوب وكل بقية بيت اسرائيل المحملين على من البطن المحمولين من الرحم. وإلى الشيخوخة أنا هو وإلى الشيبة أنا أحمل. قد فعلت وأنا أرفع وأنا أحمل وأنجي. بمن تشبهونني وتسوونني وتمثلونني لنتشابه» أش ٤٦: ٣ – ٥

٢- إن الله يعين الفرد:

هذا هو الحق الذي أعلنه موسى في كلماته «ليس مثل الله يا يشورون. يركب السماء في معونتك والغمام في عظمته الإله القديم ملجأ والأذرع الأبدية من تحت» تث ٣٣: ٢٦ و ٢٧ وهذا ما نقرأه في كلمات يعقوب لابنه يوسف ساعة احتضاره «يوسف غصن شجرة مثمرة. غصن شجرة مثمرة على عين. أغصان قد ارتفعت فوق حائط. فمررته ورمته واضطهدته أرباب السهام. ولكن ثبتت بمتانة قوسه وتشددت سواعد يديه. من يدي عزيز يعقوب من هناك من الراعي صخر إسرائيل. من إله أبيك الذي يعينك ومن القادر على كل شيء الذي يباركك» تك ٤٩: ٢٢ – ٢٥

ومع هذه الكلمات الحلوة، نقرأ شهادة بولس أمام اغريباس حين قال «فإذ حصلت على معونة من الله بقيت إلى هذا اليوم شاهداّ للصغير والكبير» أعمال ٢٦: ٢٢، فالله إذاً يعين الفرد، ويناديه «لا تخف أنا أعينك» أش ٤١: ١٣، فثق في هذه المواعيد وردد مع داود مزموره الحلو «الرب راعي فلا يعوزني شيء» مزمور ٢٣: ١

٣- إن الله يدبر كل ظروف الفرد:

اجتاز يعقوب في حياته ثلاثة اختبارات هامة، الاختبار الأول هو اختبار بيت إيل، والاختبار الثاني هو اختبار محنايم، والاختبار الثالث هو اختبار فنيئيل، وفي اختبار بيت إيل أدرك يعقوب أن الله يدير كل ظروف الفرد وسمع صوت الله قائلاً «أنا معك وأحفظك حيثما تذهب وأردك إلى هذه الأرض لأني لا أتركك حتى أفعل ما كلمتك به» تك ٢٨: ١٥، وفي اختبار محنايم لاقاه ملائكة الله فعرف أن الله يحرسه بقوى غير منظورة، وفي اختبار فنيئيل تصارع مع الله وجهاً لوجه، وحطم الله الذات التي فيه ونجى نفسه!!

وهناك اختبار رائع في حياة إبراهيم يوم سأله ابنه وهو في طريقه إلى الذبح «هو ذا النار والحطب ولكن أين الخروف للحرقة؟» فقال إبراهيم «الله يرى له الخروف للحرقة يا ابني»، ولما وصل إبراهيم للحظة الصفر وأنقذ الله ولده، وأراه كبشاً ممسكاً في الغابة بقرنيه قدمه عوضاً عن ابنه، دعا اسم ذلك الموضع «يهوه يراه» واسم «يهوه» هو اسم الرب الذي لا يترفع عن خلائقه ويتركهم لشأنهم، بل يرى أعواز شعبه ويتنازل ليخلصهم، وقد ورد هذا الاسم الجليل مقترناً بالأعمال التي يعملها الله لكل فرد يتكل عليه ويثق فيه. فلنتأمل إذاً في هذه الأعمال العظيمة.

١- يهوه رأفا: أي الرب الشافي خر ١٥: ٢٦ وهذا هو الاسم المريح لكل طريح على فراش المرض «الرب يعضده وهو على فراش الضعف مهدت مضجعه كله في مرضه» مز ٤١: ٣

٢- يهوه نسى: أي الرب رايتي خر ١٧: ٨ – ١٥ وهذا هو الاسم المعزي لمن يضايقه العدو.

٣- يهوه شالوم: أي الرب سلام قض ٦: ٢٤، وهذا هو الاسم المفرح لكل خائف ومضطرب.

٤- يهوه رعا: أي الرب راعي مزمور ٢٣: ١، وهذا هو الاسم الجميل لكل غريب ونزيل.

٥- يهوه تصدقينو: أي الرب برنا أرميا ٢٣: ١٦ وهذا هو الاسم البهيج لكل شاعر باحتياجه إلى بر الله.

٦- يهوه يرأه: أي الرب يرى ويدبر تك ٢٢: ١٤، وهذا هو الاسم الحلو لكل من لا مخرج له في ضيقات الحياة.

٧- يهوه شمه: أي الرب هناك: حزقيال ٤٨: ٣٥، وهذا هو الاسم المبارك لكل من يتوقع مجيء ملكوت الله على الأرض.

فهل بعد كل هذه الإعلانات تحس بوحدتك في هذه الأرض، أو تشعر بأن الله معك في كل الطريق؟!

أصغ إلى كلمات أشعياء المشجعة «لماذا تقول يا يعقوب وتتكلم يا إسرائيل قد اختفت طريقي عن الرب وفات حقي إلهي. أما عرفت أم لم تسمع. إله الدهر الرب خالق أطراف الأرض لا يكل ولا يعيا. ليس عن فهمه فحص. يعطي المعيي قدرة ولعديم القوة يكثر شدة. الغلمان يعيون ويتعبون والفتيان يتعثرون تعثراً. وأما منتظرو الرب فيجددون قوة. يرفعون أجنحة كالنسور يركضون ولا يتعبون يمشون ولا يعيون» أش ٤٠: ٢٧ – ٣١ وقل اليوم مردداً مع أيوب «بسمع الأذن قد سمعت عنك والآن رأتك عيني لذلك أرفض وأندم في التراب والرماد».

الفصل الثاني: الخطية في اختبار الفرد

الجرائم الكثيرة الغريبة الشاذة التي نقرأ أنباءها في الصحف كل صباح على أي شيء يدل وقوعها بهذه الكثرة، وهذا الشذوذ، وهذه الوحشية؟ السفاح الذي يقتل ضحاياه من أجل قروش، ويحتفظ بجثثهم في أرض الحديقة التي يعمل بها في الليل وفي النهار، ويبيع جمجمة الواحد منهم بخمسين قرشاً، ويقتطع من ثيابهم أجزاء للذكرى ثم يصنع منها وسائد يريح فوقها رأسه! علام يدل هذا الإجرام وهذه القسوة؟

والعمتان اللتان تفسدان ابنتي أخيهما اليتيمتين وتقودانهما إلى الشر وتتنكران لهما يوم يصيبهما المرض الخبيث، ما علة تصرفهما؟ وطالب كلية الهندسة الذي يطلق نسناساً على المصطافات في شاطىء سبورتنج يثير الرعب فيهن فلما يعترضه عامل قائلاً «حرام عليك» يغضب وينهال عليه ضرباً ولا يتركه إلا جثة هامدة! ما علة تصرفه هذا؟

وهذه الخلاعة التي تفشت في كثير من ا لبيوت! وهذه الحروب! وهذه الدموع! وهذه الدماء! وهذه الأسر المنقسمة على ذاتها التي لا يبطل منها النزاع والخصام! وهذه المطامع الأشعبية التي حطمت قلوب الناس؟ وهذه الخيانات والاعتداءات والسرقات؟ ما علة كل هذا؟ إن العلة الأصيلة الحقيقية هي «الخطية»!! تلك التي قال عنها بولس في اختباره «فإننا نعلم أن الناموس روحي وأما أنا فجسدي مبيع تحت الخطية لأني لست أعرف ما أنا أفعله إذ لست أفعل ما أريده بل ما أبغضه فإياه أفعل. فإن كنت أفعل ما لست أريده فإني أصادق الناموس أنه حسن. فالآن لست بعد أفعل ذلك أنا بل الخطية الساكنة فيّ. فإني أعلم أنه ليس ساكن فيّ أي في جسدي شيء صالح لأن الإرادة حاضرة عندي وأما أن أفعل الحسنى فلست أجد. لأني لست أفعل الصالح الذي أريده بل الشر الذي لست أريده فإياه أفعل. فإن كنت ما لست أريده إياه أفعل فلست بعد أفعله أنا بل الخطية الساكنة فيّ. إذاً أجد الناموس لي حينما أريد أن أفعل الحسنى أن الشر حاضر عندي. فإني أسر بناموس الله بحسب الإنسان الباطن. ولكني أرى ناموساً آخر في أعضائي يحارب ناموس ذهني ويسبيني إلى ناموس الخطية الكائن في أعضائي ويحي أنا الإنسان الشقي من ينقذني من جسد هذا الموت» رو ٧: ١٤ – ٢٤

وكما ذكر بولس هذا الاختبار المرير في صراعه مع الخطية كذلك قرر هذه الحقيقة داود النبي حين قال «هأنذا بالإثم صورة وبالخطية حبلت بي أمي» مزمور ٥١: ٥ فالخطية هي الميراث القديم لجميع البشر، وهي القاسم المشترك الأعظم في حياة كل فرد في هذا الوجود، وهذا هو ما يؤكده صاحب المزمور في قوله «الله من السماء أشرف على بني البشر لينظر هل من فاهم طالب الله. كلهم قد ارتدوا معاً فسدوا ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد» مزمور ٣٥: ٢ و ٣ وبذات الأسلوب يقرر بولس هذه الحقيقة قائلاً «كما هو مكتوب أنه ليس بار ولا واحد. ليس من يفهم. ليس من يطلب الله. الجميع زاغوا معاً فسدوا. ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد ... لأنه لا فرق إذ

الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله» رو ٣: ١٠ و ١١ و ١٢ و ٢٢ و ٢٣ ...

ودعنا الآن نتقدم بإرشاد الله لكي ندرس موضوع الخطية الخطير

تعريف الخطية

ما هي الخطية؟ وما هو تعريفها في كلمة الله؟ وكيف نميز بين الخير والشر في حياة البشر؟!

إن الكتاب المقدس قد وضع تعريفات واضحة للخطية نذكرها فيما يلي:

١- الخطية هي التعدي على قانون الله:

وهذا ما يقرره يوحنا «كل من يفعل الخطية يفعل التعدي أيضاً والخطية هي التعدي» ١ يو ٣: ٤ ومعنى ذلك أن الشخص الذي يخطىء يتعدى الحدود المرسومة في ناموس الله، ويدخل في منطقة محرمة لا يصح له دخولها «لأن من حفظ كل الناموس وإنما عثر في واحدة فقد صار مجرماً في الكل. لأن الذي قال لا تزن قال أيضاً لا تقتل. فإن لم تزن ولكن قتلت فقد صرت متعدياً الناموس» يع ٢: ٩ – ١١، وهذا ما فعله آدم حين تعدى وصية الله التي وضعها له، وأكل من الشجرة التي حرمها عليه.

٢- الخطية هي إهمال ناحية الخير في الحياة:

يضع الرسول يعقوب تعريفاً للخطية فيقول «من يعرف أن يعمل حسناً ولا يعمل فذلك خطية له» يعقوب ٤: ١٧ وقصة الغني ولعازر هي صورة مجسمة لتوضيح هذا التعريف، فقد كان ذلك الرجل غنياً يلبس الأرجوان والبز، ويتنعم كل يوم مترفهاً، وكان عند بابه لعازر الذي كان مضروباً بالقروح، وكان لعازر في حالته التي تدعو للعطف والرثاء، امتحاناً حياً لمشاعر ذلك الغني، وفرصة لإظهار أرق عواطفه الإنسانية، لكن الغني كان أنانياً، فلم يهتم بلعازر المريض ولم يرسل له طعاماً، والواقع أن الكلاب كانت أفضل منه وأرق في شعورها «فكانت تأتي وتلحس قروح ذلك المسكين» لقد كان في وسع الرجل أن يفعل حسناً ولكنه لم يفعل، وهذه كانت خطيته، وعلى هذا القياس «من يعرف أن يعمل حسناً ولا يعمل فذلك خطية له»

٣- الخطية هي كل ما ليس من الإيمان:

إصغ إلى كلمات بولس الرسول «كل ما ليس من الإيمان فهو خطية» رو ١٤: ٢٣ والإيمان هو وسيلة إرضاء الله «ولكن بدون إيمان لا يمكن إرضاؤه لأنه يجب أن الذي يأتي إلى الله يؤمن بأنه موجود وأنه يجازي الذين يطلبونه» عب ١١: ٢٦ وهو طريق نوال الخلاص «بالنعمة أنتم مخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم هو عطية الله» أفسس ٢: ٨ و ٩، وهو مفتاح النصرة على العالم «هذه هي الغلبة التي تغلب العالم إيماننا» ١ يو ٥: ٤ فكل عمل ليس القصد منه إرضاء الله، وكل شيء يدفعنا للإتكال على الذات، وكل هزيمة أمام شهوات العالم وإغراءاته، كل تصرف من هذا القبيل ليس من الإيمان «وكل ما ليس من الإيمان هو خطية»

٤- الخطية هي كل إثم نرتكب:

ه: في رسالة يوحنا الأولى نجد هذا التعريف للخطية «كل إثم هو خطية» ١ يو ٥: ١٧ فما هو الإثم؟ في سفر اللاويين الإصحاح الخامس من عدد ١ – ١٩، والإصحاح السادس من عدد ١ – ٧ نجد حديثاً مطولاً عن ذبيحة الإثم، وهي تلك التي تتعلق بالأخطاء العلنية المعينة التي يرتكب بعضها بجهل وبعضها عن علم. فإذا أخطأ أحد وسمع صوت حلف وهو شاهد يبصر أو يعرف فإن لم يخبر به حمل ذنبه ووجب عليه أن يقدم ذبيحة إثم، وإذا مس أحد نجاسة إنسان حتى ولو لم يعلم بها ثم علم بها فهو مذنب. وإذا حلف أحد ليفعل حسنة أو إساءة وأخفى عنه ثم علم فهو مذنب في شيء من ذلك. وفي كل ذلك كان الأمر يتطلب ذبيحة إثم، فالإثم إذاً هو الأخطاء العلنية التي يرتكبها

المرء عن علم أو جهل «وكل إثم هو خطية».

٥- الخطية هي فكر الحماقة:

يعرف صاحب الأمثال الخطية في هذه العبارة «فكر الحماقة خطية» أم ٢٤: ٩ ونجد في قصة الغني الغبي تفسيراً واضحاً لهذه الآية، فهذا الغني أخصبت كورته وبدلاً من أن يشكر الله على بركاته ويقدم له حقه فيما أعطاه نقرأ عنه هذه الكلمات «ففكر في نفسه قائلاً: ماذا أعمل لأن ليس لي موضع أجمع فيه أثماري. وقال: أعمل هذا، أهدم مخازني وأبني أعظم وأجمع هناك جميع غلاتي وخيراتي وأقول لنفسي يا نفس لك خيرات كثيرة موضوعة لسنين كثيرة. استريحي وكلي واشربي وافرحي» وهكذا دبر الرجل كل برنامج حياته بعيداً عن الله، فلم يعمل لله حساباً في هذا التدبير، وكان غبياً أحمقاً في هذا التفكير «وتدبير الأحمق خطية» بحسب الترجمة الحرفية للآية، ولهذا قال له الله «يا غبي في هذه الليلة تطلب نفسك منك فهذه التي أعددتها لمن تكون» لو ١٢: ٢٠... وبولس يحذرنا من التدبير الأحمق في قوله «البسوا الرب يسوع المسيح ولا تصنعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات» رو ١٣: ١٤ فكل تدبير للحياة أو للجسد بعيداً عن فكر المسيح هو خطية.

الخطية هي نور الأشرار:

وهذا تعريف آخر لصاحب الأمثال «طموح العينين وانتفاخ القلب نور الأشرار خطية» أمثال ٢١: ٤ والعينان الطامحتان هما دليل الكبرياء «سراج الجسد هو العين فإن كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيراً. وإن كانت عينك شريرة فجسدك كله يكون مظلماً. فإن كان النور الذي فيك ظلاماً فالظلام كم يكون» متى ٦: ٢٣ و ٢٣. وانتفاخ القلب يؤكد وجود الشر في الداخل «من الداخل من قلوب الناس تخرج الأفكار الشريرة زنى فسق قتل. سرقة طمع خبث مكر عهارة عين شريرة تجديف كبرياء جهل. جميع هذه الشرور تخرج من الداخل وتنجس الإنسان» مرقس ٧: ٢١ و ٢٢ ومن الطبيعي أن تكون نتيجة وجود القلب المنتفخ والعين الطموحة، أن النور الذي يأتي من صاحبها يعتبر خطية، فنجاح الشرير، شر في جذوره وأغصانه، وثماره، لأن العامل الأول فيه «الخطية»، وكذلك كل صلاح يحاول الشرير أن يعمله، أو كل بر يحاول أن يستتر فيه هو خطية «قد صرنا كلنا كنجس وكثوب عدة (أي كخرقة بالية) كل أعمال برنا» أش ٦٤: ٦ فأعمال البر التي يعملها الأشرار هي في ذاتها خطية لأن دوافعها غير مقدسة وليست لمجد الله.

هذا هو التعريف الكتابي للخطية؛ وعندما نطبق هذا التعريف على حياتنا ماذا يمكن أن نرى فيها سوى لطخ الخطية السوداء التي شوهتها وأضاعت جمالها؟!

الخطية والغرائز الإنسانية

هل توجد علاقة بين الخطية والغرائز الإنسانية؟ وما هي هذه العلاقة؟ وكيف تستخدم الخطية الغرائز البشرية؟

يقول الدكتور ماندر عالم النفس المشهور في تعريف الغريزة: إن الغريزة هي ميل فطري موروث يدفع الإنسان أن يسلك سلوكاً خاصاً في ظروف معينة، ولكي نوضح معنى كلامنا هذا نقول إن الغريزة استعداد فطري في الجهاز العصبي لوضع الجسم في حالة عضوية خاصة وإتيان حركات جسمية معينة هي رد فعل لعملية مناسبة لها. مثال ذلك: أننا إذا فزعنا لسماع قرقعة عالية مفاجئة أو صيحة حادة جاءت على غير انتظار منا، فقد تتصلب أجسامنا وتجمد لساعتها ويأخذنا هول ذلك الحادث فتنعقد ألسنتنا ولا نحير جواباً، نشعر بهذا في أجسامنا فنسمي هذا الشعور خوفاً. ولكن السلوك الجسمي نفسه هو مثل لنوع خاص من الغرائز يسمى غريزة «التماوت»

وقد وضع الله في الإنسان كثيراً من الغرائز هي أصل جميع الرغبات الأولية في حياة كل فرد,

فغرائز اللمس، والأكل، والحركة الجسمية، وطلب الراحة والنوم من الغرائز البسيطة التي تولد فينا الرغبة للراحة الجسمية، وغريزة التماوت تولد فينا الرغبة للشعور بالطمأنينة، وغريزة الهرب تولد فينا الرغبة للنجاة، وغريزة الخنوع والتذلل تولد فينا الرغبة لاسترضاء شخص قادر، وغريزة حب الظهور تولد فينا رغبة لفت أنظار الناس وإثارة إعجابهم بنا، ومحبتهم لنا، وغريزة المقاتلة والهجوم تجعلنا نرغب في إيقاع الضرر والأذى، وتدفعنا إلى التغلب والسيادة والشعور بالتفوق، والغريزة الجنسية تولد فينا الرغبة لاجتذاب شخص من الجنس الآخر والتزاوج معه وإدخال السرور عليه، وغريزة الرعاية والحماية تدفعنا للعناية بشخص أضعف من الإنسان والمحافظة عليه، والغريزة الاجتماعية تدفعنا للبحث عن الرفاق وصحبة وزمالة غيرنا من نوعنا، وغريزة التقليد تولد فينا الرغبة للتشبه بالقادة والزعماء منا، وغريزة المطاردة والقنص تولد فينا الرغبة في الإمساك والتملك والقبض؛ وغريزة الارتياد والكشف تولد فينا الرغبة للكشف والمعرفة والفهم؛ وغريزة العودة إلى المألوف تجعلنا تحس برغبتنا في العودة إلى المألوف من الناس والأمكنة والظروف، ويجد بنا أن نضع في أذهاننا أن هذه الغرائز والرغبات ليست شراً في ذاتها، ولكن الشر في انحرافها، وفي الطريق الذي يسلكه الفرد لإشباعها.

ولقد سقط كثيرون من الأبطال عن طريق الغريزة المنحرفة، والرغبة الجامحة ... فهذا هو داود في خطيته الرهيبة التي حوت جملة خطايا في ثناياها، فقد أخطأ ذلك الملك ضد أوريا، وأخطأ ضد بثشبع، وأخطأ ضد التاج، وأخطأ ضد الدولة؛ وأخطأ ضد الجيش وأخطأ ضد جسده، وأخطأ ضد الإنسانية، عندما ارتكب خطية الزنا مع امرأة أوريا، ولا ريب أن هذه الخطية كانت انحرافاً صريحاً للغريزة الجنسية عن الطريق الشريف الذي وضعه الله لإشباعها، ويظهر هذا بكل وضوح في الحديث الذي دار بين ناثان النبي وداود فقد قال ناثان للملك «كان رجلان في مدينة واحدة واحد منهما غني والآخر فقير، وكان للغني غنم وبقر كثيرة جداً، وأما الفقير فلم يكن له شيء إلا نعجة واحدة صغيرة قد اقتناها ورباها وكبرت معه ومع بنيه جميعاً. تأكل من لقمته وتشرب من كأسه وتنام في حضنه وكانت له كابنة فجاء ضيف إلى الرجل الغني فعفا أن يأخذ من غنمه وبقره ليهيء للضيف الذي جاء إليه فأخذ نعجة الفقير وهيأ للرجل الذي جاء إليه» ٢ صم ١٢: ١ – ٦ ولقد حكم داود على الرجل الذي تتحدث عنه القصة بالموت لأنه ترك أغنامه وأبقاره واعتدى على نعجة الرجل المسكين، أي أنه انحرف بغريزته في طريق غير شريف فالخطية ليست في وجود الغريزة نفسها بل في انحرافها إلى طريق مضاد لإرادة الله.

ونلاحظ في سقطة داود، أن انحراف غريزة واحدة في المرء، قد يؤدي إلى انحراف غرائز أخرى معها؛ فغريزة التماوت، وهي التي تولد الرغبة في الشعور بالطمأنينة، والانفعال المصاحب لها هو الخوف، دفعت داود إلى قتل أوريا ليستريح من الفضيحة ويطمئن إلى كتمان الأمر، فلنحذر إذاً من انحراف غرائزنا ولنسر بها في الطريق المرتب لها من الله.

ومع داود نجد عاخان الذي انحرفت رغبة حب التملك فيه عن الطريق السوي فدفعته إلى السرقة، فلما رأى في الغنيمة رداء شنعارياً نفيساً ومئتي شاقل فضة ولسان ذهب وزنه خمسون شاقلاً اشتهاها، وأخذها، وطمرها في وسط خيمته بعد أن وضع الفضة تحتها يش ٧: ٢١ وبذات الكيفية انحرف جيحزي فسقط في خطية الكذب والاغتصاب، وكذلك باع يهوذا سيده المسيح بثلاثين من الفضة «ومحبة المال أصل لكل الشرور الذي إذ ابتغاه قوم ضلوا عن الإيمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة» ١ تي ٦: ١٠ وإلى جوار هؤلاء نجد بطرس الذي قال لسيده «يا رب إني مستعد أن أمضي معك حتى إلى السجن وإلى الموت» لوقا ٢٢: ٣٣ وهو يلعن ويحلف ويسب أنه لا يعرف المسيح ... ولا ريب أن الذي دفعه إلى ذلك هو انحراف غريزة التماوت فيه، هذا الانحراف الذي جعله يبحث عن الطمأنينة بطريق غير سليم، ودفعه إلى الخوف الجارف الذي جعله ينكر سيده لينجو بحياته من الخطر، بدلاً من أن يثق بالله لنجاته وإنقاذه.

وهناك عدة أمثلة أخرى لانحراف الغرائز، يضيق مجال هذا الكتاب عن حصرها، لكننا نحرج منها كلها بنتيجة واحدة هي أن نبحث عن السبيل النظيف الذي وضعه الله لإشباع غرائزنا، ونتسامى بها في طريق الخدمة والمثل

العليا حتى لا تنحرف إلى طرق الضلال والنجاسات والأوحال.

نتائج الخطية في حياة الفرد

عندما تأتي الخطية للإنسان، تأتي مرتدية رداء الخداع والمداهنة والتملق، وهي تعطي لكل غصن من أغصان شجرتها الأثيمة اسماً جميلاً، فهي تسمى الكبرياء كرامة، وتسمي الأغاني المبتذلة فناً رفيعاً، وتسمي شهوة العيون حب الجمال، وتسمي الحروب البشعة دفاعاً عن الحرية، ولكنها بعد أن تخدع المرء تهشمه بين أنيابها القاسية.

يحدثنا التاريخ عن مرسل من بلاد الغرب ذهب إلى إحدى غابات الهند، ووجد هناك نمراً صغيراً ما زال وليداً، فأخذه معه ليربيه كما تربى الكلاب، وبدأ المرسل يعتني بالنمر ويطعمه إلى أن كبر، وفي يوم ما بينما كان المرسل جالساً في حديقته يقرأ صحيفته، مد يده وربت على رأس النمر كعادته، وإذ بالنمر يلحس يد المرسل بلطف، وقليلاً قليلاً أحس المرسل بأن قوة تخرج من جسمه دون أن يعرف السبب، وفجأة انتبه فإذا به يجد الدماء تسيل من يده ... وأدرك أن النمر ظل يلحس يده بلسانه إلى أن أسال دماءه وإذ أراد أن يعاقب ذلك الوحش ثارت غريزة الافتراس فيه بعد أن ذاق طعم الدماء وافترس المرسل الذي رباه!

وهذه هي قصة الخطية على مدى الأزمان، تخدع ثم تقتل!! وليس شك في أن كثيرين يعتقدون أن خطاياهم لن تكشف ولن ينالوا عنها عقاباً، لكن قانون الله الخالد هو «أن الذي يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضاً» غلا ٦: ٧ ولا بد أن يأتي اليوم الذي فيه يعلن الله ما ارتكبناه من آثام إلا إذا سترت هذه الآثام بالتوبة والإيمان في دم الصليب، وهذه هي الحقيقة التي يقررها موسى في سفر العدد في الكلمات «وتعلمون خطيتكم التي تصيبكم» عد ٣٢: ٢٣ ذلك لأن «الله يطلب ما قد مضى» جا ٣: ١٥

وليس هذا هو كل ما تفعله الخطية في حياة الفرد، فالخطية تفصل الإنسان عن الله «آثامكم صارت فاصلة بينكم وبين إلهكم وخطاياكم سترت وجهه عنكم حتى لا يسمع» أش ٩: ٢، وهذا هو ما حدث في حياة شاول الملك حتى قال وهو في ضيقته الكبرى «الرب قد فارقني ولم يعد يجيبني لا بالأنبياء ولا بالأحلام» ٢ صم ٢٨: ١٥، وعندما يفارقنا الله، يفارقنا النجاح، والسلام، والهدوء النفسي والقلبي، ويأخذ الشيطان مجاله الأكبر في حياتنا، وفوق هذا فإن الخطية تصيب المرء بالعمى الروحي، فتجده يفهم الأدب، والسياسة، والاجتماع، والعلوم الرياضية، ويجهل أبسط مبادئ الحياة الروحية «الإنسان الطبيعي لا يقبل ما لروح الله لأنه عنده جهالة ولا يقدر أن يعرفه لأنه إنما يحكم فيه روحياً» ١ كو ٢: ١٤، والخطية تنيم الضمير الحي، فداود الذي ضربه قلبه عندما قطع طرف جبة شاول الملك ١ صم ٢٤: ٥، نام ضميره حتى قتل أوريا الحثي، واعتدى على امرأته. والخطية عاقبتها الموت الروحي والجسدي «لأن أجرة الخطية هي موت» رو ٦: ٢٣ «الخطية إذا كملت تنتج موتاً» يع ١: ١٥ ... وأخيراً تأتي الخطية بالإنسان إلى جهنم «وأما الخائفون وغير المؤمنين والرجسون والقاتلون والزناة والسحرة وعبدة الأوثان وجميع الكذبة فنصيبهم البحيرة المتقدة بنار وكبريت الذي هو الموت الثاني» رؤ ٢١: ٨

لكن هل هذا كل ما في قصة الخطية المؤلمة؟! إصغ إلى أنين أولئك الذين غررت بهم، ولطخت حياتهم ... اسمع صوت قايين القاتل وهو يقول «ذنبي أعظم من أن يحتمل» تك ٤: ١٣، وأنصت إلى تأوهات داود الساقط «ليست في عظامي سلامة من جهة خطيتي لأن آثامي قد طمت فوق رأسي كحمل ثقيل أثقل مما أحتمل» مز ٣٨: ٤، وأمل أذنك لتسمع كلمات أيوب «لأنك كتبت على أموراً مرة وورثتني آثام صباي» أي ١٤: ١٧ واصغ إلى اعتراف أشعياء «ويل لي إني هلكت لأني إنسان نجس الشفتين ... لأن عيني قد رأتا الملك رب الجنود» أش ٦: ٥، ثم تعال بعد هذا لتسمع ذلك التعس يهوذا وهو يقول «أخطأت إذ سلت ص٤٣ دماً برئياً» متى ٢٧: ٤

هذا هو عذاب الخطية في قلب كل فرد يواجه الله، ويعرف حقيقة خطاياه، ومع هذا العذاب النفسي المرير، نرى

الشقاء الذي يحدثه الخطية في جميع مناحي الحياة.

فحواء قد ملأت الدموع عينيها، وخرجت السعادة من خيمتها بعد أن قتل قابين هابيل، وعاخان رجمه كل إسرائيل مع جميع بيته لأجل أطماعه وشهوته، وشمشون قلع الفلسطينيون عينيه ونزلوا به إلى غزة وأوثقوه بسلاسل نحاس وكان يطحن في بيت السجن لأجل حبه للمرأة المستهترة دليلة، وجيجزي قد ضرب هو ونسله ببرص نعمان السرياني لأجل محبة المال، وداود كان يعوم في كل ليلة سريره بدموعه، واحتمل أشد الآلام والنكبات في بيته بسبب سقطته، وآخاب لحست الكلاب دمه لأجل طمعه واعتدائه، وبطرس «بكى بكاء مراً» بسبب إنكاره لسيده.

وماذا أقول أيضاً عن الملوك، والأبطال، والعظماء، والفتيات، والشبان، الذين شوهت الخطية جمالهم وجلالهم، وسجلت في كتاب حياتهم سطوراً سوداء بيدها القاسية التي لا ترحم.

يحدثنا رجل من رجال الله هو الدكتور تشارلس برايس عن مأساة رهيبة من مآسي الخطية في حياة قسيس عظيم، كان اسم ذلك القسيس جوزيف كونلي، كرسه والداه لخدمة الله فالتحق بكلية اللاهوت، وكان بالكلية أستاذ عصري لا يؤمن بالكتاب المقدس، عز عليه أن يرى شاباً ذكياً يكرس حياته لخدمة المسيح، فهمس في أذنه بهذه الكلمات «اسمع يا جوزيف، أنت شاب ألمعي الذكاء، وينبغي أن تعرف أن ديننا قد دخلته الخرافات، وأنا أنصحك أن تدرس كتب الفلاسفة، وأن تزن الأمور بتفكير، اقرأ يا جوزيف داروين وريتان وهكسلي، ولا تسر كالأعمى في طريق الحياة» واهتز الشاب وهو يسمع من أستاذه الأثيم هذه العبارات، ولكنه رغم الصراع الذي قام داخله أتم دراسته وخرج للخدمة المقدسة. تزوج جوزيف كونلي بعد أن نصب راعياً من ابنة أحد القسوس الأتقياء. وكانت فتاة مكرسة تحب الرب، وارتقى القس جوزيف كونلي سلم المجد على درجات، حتى استقر في مدينة «بونوما» في ولاية كاليفورنيا وبنى بها كنيسة ميثودستية من أجمل ما ابتكرت الهندسة الإسبانية، وعلت شهرته حتى منحته إحدى الجامعات الدكتوراة الفخرية تقديراً له. وفي خلال مدة خدمته في هذه المدينة كان الصراع قد بلغ أشده في قلبه وعقله، وكانت كلمات الأستاذ الأثيم قد أثمرت في تفكيره، فوقف في صباح يوم أحد، وأعلن من فوق منبره، أنه لا يؤمن بميلاد المسيح من عذراء، ولا يؤمن بالمعجزات، وأنه سيترك الخدمة إلى عمل آخر في الحياة.

كان الدكتور كونلي كاتباً موهوباً، فدخل إلى ميدان الصحافة، وعلا نجمه فعين رئيساً للتحرير في جريدة كبرى؛ ثم أنشأ لنفسه جريدة خاصة وطبق اسمه الآفاق؛ فقد كان قلمه كأنه قد غمس في مداد الإلهام. لكن الخطية غررت بالرجل حتى سادت على حياته، فبدأ يدخن ويشرب الخمر، ثم تملكت منه عادة السكر ففقد عمله في الصحافة وخبا ذلك النجم الذي لمع لمدة سنوات،

وكنت ترى الدكتور القس جوزيف كونلي، وهو يسير في الشوارع متسكعاً، بملابسه الممزقة، وقد زال عنه بهاؤه، واحمرت عيناه، وضاعت معالم شخصيته من فرط السكر. ولو رآه ذلك الأستاذ الشرير الذي أبعده عن الإيمان لبكى عليه بالدموع.

ورآه أحد الأطباء من أعضاء كنيسته القدامى، فراعه منظره حتى أبكاه، فأشفق عليه وأعطاه حلة جديدة لكن جوزيف كونلي الراعي الذهبي اللسان والقلم، باع الحلة ليشرب بثمنها خمراً.

ووضع الله في قلب ذلك الطبيب أن يهتم بذلك الراعي، ففكر في إبعاده عن البيئة التي يعيش فيها عله يبطل عادة السكر ويرجع إلى نفسه، وكانت مناجم الذهب قد اكتشفت في ألاسكا فأوحى إليه أن يذهب إلى هناك .. ووافق كونلي على الذهاب ورتبت له زوجته حقيبة وضعت فيها بعض الدواء، وفي داخل الحقيبة وضعت له ابنته الجميلة الصغيرة فلورنس نسخة من الكتاب المقدس وقد كتبت عليها إهداءها «لبابا العزيز ...» وسافر الرجل تتبعه صلاة الزوجة الحزينة من أجله إلى الله.

وما كاد جوزيف كونلي يذهب إلى ألاسكا حتى اشتغل عاملاً في «خمارة» وكنت ترى ذلك الرجل العظيم الذي

حطمته الخطية وهو يغسل أرض الخمارة بيديه الرقيقتين في سبيل الحصول على مزيد من الخمر ...

وطلبه أحد الأغنياء ليقوم بحراسة منجم جديد، فكان الشرط الأساسي الذي وضعه ذلك المسكين أن يزوده الغني بكميات كافية من الخمر ... ووافق الرجل، وأرسله لحراسة المنجم وأسكنه في غرفة خاصة على بعد أربعين ميلاً من العمران ... وفي تلك الغرفة كان كل عمل جوزيف كونلي أن يجرع كؤوس الخمر وهو يتطلع إلى الخلاء ... وانضم إليه في غرفته شابان، كان أحدهما كاثوليكياً واسمه «جيمي ملر» وكان الثاني يعمل في كاليفورنيا كوسيط روحي في جلسات مناجاة الأرواح واسمه «ولي فلت» .... وكان عمل هؤلاء الثلاثة هو شرب الخمر، والتحدث بأقبح القصص وأقذر النكات. وظل الحال هكذا في الغرفة البعيدة عن العمران، إلى أن أصيب جيمي ملر بالحمى، وكان يصرخ من الألم، وتذكر جوزيف كونلي الدواء الذي وضعته زوجته في الحقيبة، ففتحها ليخرجه منها وإذا بنسخة الكتاب المقدس تسقط على الأرض، وانحنى الرجل وأمسك بها، ثم أراد أن يحرقها ولكن صديقه «ولى فلت» منعه من إحراقها بحجة أنه لا يوجد في الغرفة ما يقرأونه.

أثر الدواء في «جيمي ملر» وشفى، وبدأ بعد شفائه يقرأ الكتاب المقدس ...

ولقد قاوم جوزيف كونلي فكرة قراءة الكتاب في غرفته، ولكنه استسلم لرأي زميليه لما قالا له أنهما يقرآنه بقصد التسلية لا بقصد الإيمان ....

وجاء الشتاء بليله الطويل، وكان ثلاثتهم يجلسون الساعات لقراءة الكتاب، وأحدث الكتاب تغييراً في حياة هؤلاء التعساء ... قل حديثهم الشرير البذيء .... وماتت على شفاههم اللعنات.

وحل عيد الميلاد، فجلسوا يقرأون قصة ميلاد المسيح ... وعادت إلى ذاكرة كل منهم مناظر احتفالات العيد ... وتذكر جوزيف ابنته الجميلة فلورنس، وهي تضع الزينات في أغصان شجرة العيد، وذكر الرجل حياته يوم كان راعياً جليلاً تنحنى له الهامات.

ظل الأصدقاء الثلاثة يقرأون الكتاب حتى شهر يناير، وفي أواخر ذلك الشهر بدأوا قراءتهم لإنجيل يوحنا، ثم جاء اليوم الرابع عشر من شهر فبراير حين جلس «ولي فلت» يقرأ، وأمامه الدكتور كونلي يصغي بانتباه إلى قراءته «لا تضطرب قلوبكم. أنتم تؤمنون بالله فآمنوا بي في بيت أبي منازل كثيرة وإلا فإني كنت قد قلت لكم. أنا أمضي لأعد لكم مكاناً»

وتحت تأثير هذه الكلمات لم يتمالك القسيس القديم نفسه فانحدرت الدموع على خديه.

وتوقف «ولي فلت» عن القراءة وسأل: ما الذي حدث يا جوزيف؟

وأجاب كونلي: لا شيء!

- هل تبكي!

- نعم! استمر! إنني أفكر في ابنتي الصغيرة فلورنس. ووقف ولي فلت وهو يقول «يا لعظم تأثير هذا الكتاب! إنه قد هز كياني، وغير قلبي، وأنا أحس منذ أيام برغبة شديدة في الصلاة ولكنني خشيت أن أصلي لئلا تسخرا مني، أما الآن فقد عزمت أن لا أستمر في خجلي، وسأركع وأصلي إلى الله، وأطلب إليه أن يتكلم إلى قلبين ... وانفجر كونلي في البكاء وهو يسمع كلمات زميله ثم جفف دموعه وهو يقول «آه يا صاحبي، هذا هو ذات الإحساس الذي يملأني، فمنذ أسبوع وقلبي يتحطم داخلي، وصورة أمي التي انتقلت إلى المجد تتمثل أمامي وهي تصلي لأجلي ... » وسكت الدكتور كونلي لحظة ثم قال: وأنت يا جيمي ماذا تحس في قلبك؟ ...

وأجاب جيمي ملر: إن المعركة قد بلغت نهايتها وسأركع معكما لأصلي.

وركع السكيرون الثلاثة في تلك الغرفة، وارتفعت صلواتهم في طلب خلاص الله، وفجأة وقف ولي فلت على قدميه وهتف «هللويا! هللويا! لقد سمع يسوع طلبتي» وقفز بعده من فرط الفرح جيمي ملر وهو يهتف بكلمات الحمد لله، وأخيراً وقف جوزيف كونلي وقد امتلأت عينيه بالدموع وفمه بهتاف المجد.

كانت الساعة الثانية بعد منتصف الليل عندما زار السيد له المجد ذلك المكان البعيد، وخلص أولئك المساكين.

واتجه ثلاثتهم إلى برميل الخمر ودحرجوه إلى خارج الغرفة، وسكبوا السائل القتال على الجليد بين هتافات الشكر والحمد ...

وبعد مدة قليلة ترك ثلاثتهم ذلك المكان، أما جيمي ملر فقد أصبح قسيساً ميثودستيا مباركاً، وأما ولي فلت فقد امتلأ بالروح القدس وما زال يعظ ببشارة الخلاص في مدينة تكساس ....

وأما الدكتور جوزيف كونلي، فقد رحبوا به كعميد لكلية المثال لدرس الكتاب، وقبل احتضاره بأيام جلس والدموع في عينيه يقص على الدكتور برايس قصة حياته ليذيعها على الناس حتى يتحذروا من الخطيئة وعدم الإيمان والشك في الله.

والواقع أن قصة هذا القسيس هي اختبار رهيب لمرارة الخطية، وهي تحذير قوي من الكتب التي تملأ العقل بالشكوك، والفلسفات التي تبعدنا عن الإيمان ...

فاحذر يا أخي أن تقيدك الخطية بقيودها الحديدية، واحترس من سماع نصيحة الأشرار واصغ إلى الأوصاف التي سجلها بولس الرسول عنهم «مملوئين من كل إثم وزناً وشر وطمع وخبث مشحونين حسداً وقتلاً وخصاماً ومكراً وسوءاً نمامين مفترين مبغضين لله ثالبين متعظمين مبتدعين شروراً غير طائعين للوالدين بلا فهم ولا عهد ولا حنو ولا رضى ولا رحمة حنجرتهم قبر مفتوح. بألسنتهم قد مكروا سم الأصلال تحت شفاههم وفمهم مملوء لعنة ومرارة أرجلهم سريعة إلى سفك الدم ... ليس خوف الله قدام عيونهم» (رومية ص ١ و ٣)

يقيناً أن «الخطية خاطئة جداً» «لأنها طرحت كثيرين جرحى وكل قتلاها أقوياء»

فإذا قامت معارك الشكوك في داخلك، فردد هذه الكلمات

«يا إلهي مع أنني لا أفهم كل شيء لكنني سأستمر في ثقتي بك»

«وبينما أنا أحيا وسط الغيوم فسأظل مؤمناً بمحبتك»

«وفي وسط الظلمات وحيث لا نور سأستند يا ربي على قوتك»

«فاحفظني بنعمتك لئلا نحطم الخطية حياتي».

الفصل الثالث: اختبار خلاص الله

تقدمت فتاة من جنود «جيش الخلاص» في انجلترا إلى الأسقف وستكوت وسألته «هل حصلت على الخلاص يا سيدي؟» وكان الأسقف رجلاً وديعاً وقديساً متواضعاً وعالماً كبيراً في اللغة اليونانية فنظر إليها بوجهه المشرق، وابتسامته التي لم تفارقه منذ كرس حياته للمسيح وقال: هل تقصدين Esothen؟ أو Sozomenos أو Sothesomai وظهر الارتباك على وجه الفتاة لأنها لم تفهم الكلمات اليونانية التي نطق بها الأسقف الجليل، ولاحظ الأسقف ذلك فاستطرد قائلاً «اسمعي أيتها الابنة العزيزة، إن هذه الكلمات اليونانية التي وردت في العهد

الجديد، ترجمت «خلص – يخلص – سيخلص» فالخلاص فعل ماض، وعمل حاضر، ورجاء مستقبل وطيد، فهو فعل ماض كما يقول الرسول بولس «لأنه قد ظهرت نعمة الله المخلصة لجميع الناس» وهو عمل حاضر كما يقول «في ذات الآية «معلمة إيانا أن ننكر الفجور والشهوات العالمية ونعيش بالتعقل والبر والتقوى في العالم الحاضر» وهو رجاء مستقبل مجيد كما يقول أيضاً في ذات الآية «منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح» تيطس ٢: ١١ – ١٣ وكما يقول في آية أخرى «متوقعين التبني فداء أجسادنا» رو ٨: ٢٣

وسكت الأسقف لحظة ثم استأنف حديثه قائلاً «أما بخصوص سؤالك الموجه إلى شخصي فأقول وقلبي مفعم بالشكر لله «إني بنعمة الله قد خلصت – وإني مخلص – وإني سأخلص عندما يأتي الرب» هذا هو الخلاص في معناه الكتابي – غفران، وتجديد، وتقديس، وتمجيد، ولكن المهم ليس أن نعرف المعاني بل أن يختبر كل فرد بنفسه خلاص الله.

نوال الخلاص

يسبق نوال اختبار الخلاص خطوات جوهرية نوردها فيما يلي

١- الخطوة الأولى اليقظة الروحية:

ونجد هذه الخطوة في اختبارات المخلصين بصورة واضحة، فلا بد من يقظة روحية للفرد تشعره بحقيقة حالته أمام الله، وبهلاكه الذي لا مندوحة عنه إذا بقي في خطاياه، وقد تحدث هذه اليقظة من مؤثرات متنوعة، فقد يستيقظ الإنسان بعد أن تتحطم آماله البشرية التي وضعها في الناس فيتجه بقلبه إلى الله، كما حدث مع أشعياء حين مات عزيا الملك الذي كان موضع آماله فقال «في سنة وفاة عزيا الملك رأيت السيد جالساً على كرسي عال ومرتفع وأذياله تملأ الهيكل ... فقلت ويل لي إني هلكت لأني إنسان نجس الشفتين ... لأن عيني قد رأتا الملك رب الجنود» أش ٦: ١ و ٥، وقد تحدث هذه اليقظة من جراء معجزة يجريها الله أمامنا كما حدث مع بطرس عند صيد السمك الكثير بعد ليلة فشل مرير «فلما رأى سمعان بطرس ذلك خر عند ركبتي يسوع قائلاً أخرج من سفينتي يا رب لأني رجل خاطئ» لوقا ٥: ٨، وقد تستيقظ النفس بسبب كارثة مفاجئة كما حدث مع حافظ سجن فيلبي عندما تزعزعت أساسات السجن، وانفتحت الأبواب كلها. وظن الرجل أن المسجونين قد هربوا وكان مزمعاً أن يقتل نفسه لولا أن ناداه بولس قائلاً «لا تفعل بنفسك شيئاً ردياً لأن جميعنا ههنا» أع ١٦: ٢٨ وعندئذٍ اندفع الرجل قائلاً «يا سيدي ماذا ينبغي أن أفعل لكي أخلص؟» أعمال ١٦: ٢٠، وقد تأتي اليقظة للنفس نتيجة سماع كلمة الله من شخص ممتلئ من الروح القدس كما حدث يوم الخمسين عندما وعظ بطرس الجموع «فلما سمعوا نخسوا في قلوبهم وقالوا لبطرس ولسائر الرسل ماذا نصنع أيها الرجال الإخوة» أعمال ٢: ٢٧ وهذه اليقظة الروحية هي أول خطوة في طريق اختبار خلاص الله.

منذ وقت ليس ببعيد وقفت مسز كولين تونسند ايفانز - وقد كانت نجمة سينمائية لامعة في طريقها للمجد العالمي - أمام إحدى عشر ألفاً من سكان مدينة لندن، حضروا اجتماعات الحملة التبشيرية التي قام بها بلي جراهام، وسردت اختبارها لهذا الجمع الحاشد معلنة كيف استيقظت نفسها، فطوحت بكل مجدها وآمالها وطموحها لتكرس حياتها للمسيح.

قالت مسز كولين «منذ ست سنوات كنت في مركز من الغنى والسعادة والشهرة يحسدني عليه الكثيرون حتى أعز أصدقائي؛ وكنت المرأة الوحيدة التي انفردت بعقد أكبر اتفاق مع أكبر شركات السينما في هوليود؛ وكان المال الذي وعدوني به أكثر مما كنت أحلم أو أفكر ... وكانت الشهرة تسعى إلي، وكنت أتمتع بمكانة ممتازة في مهنتي ... ومع كل المباهج التي كانت تحيط بي؛ إلا أنني اعترف أنه في اللحظات التي كنت أخلو فيها إلى نفسي؛ كنت أفزعسس

من قلق داخلي ناجم عن حاجة ملحة في قلبي .. إلى شيء أكثر أهمية من الشهرة والمال؛ والمجد؛ والمطامع الذاتية ... وتقابلت مرة مع بعض شابات من كنيسة هوليود وسمعت منهن أجمل قصة عرفتها في حياتي؛ قصة مصالحة الله للخطاة بواسطة ابنه يسوع المسيح.

لقد ذهبت إلى الكنيسة مراراً كثيرة، وسمعت هذه القصة مرات ومرات، لكنني لم أدركها بطريقة واضحة، ولم أفهم ما يقصده الإنجيل من ورائها، لأنها قدمت إلى بطريقة عسيرة غير مشوقة ... أما هؤلاء الشابات فقد قدمن إلي القصة بأسلوب عجيب مؤيدات إياه بالآيات الكتابية الحلوة كقول السيد له المجد «أنا هو الطريق والحق والحياة ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي» وكان الشيء الذي أثار انتباهي، وأيقظ ضميري هو سلوك أولئك الشابات الذي يتفق تمام الاتفاق مع أقوالهن التي لم تكن مجرد كلمات جوفاء. بل تعاليم غيرت مجرى حياتهن وبدلت كل ما يتعلق بهن .. أحسست بجوع شديد لما يتمتع به هؤلاء الشابات من سلام، ورافقتهن لحضور أحد المؤتمرات، وانشغل فكري بمطالب الرب يسوع، وبشخصه المبارك العجيب، وفي صباح يوم أحد استيقظت مبكرة وخرجت للنزهة، لكنني كنت أسمع صوتاً يتردد داخل قلبي قائلاً «أعط الله فرصة في حياتك» ومع معرفتي القليلة بالصلاة جثوت وصليت، وقلت لله: «إن كانت الرسالة التي سمعتها عن يسوع حقيقة، وإن كان يسوع شخصية حقة، وإن كان في استطاعته عمل ما قالته أولئك الفتيات، فإني أود أن أمنحه حياتي كلها ... إني أريد مخلصاً يحررني منالذات التي تأكل قلبي، ومن المطامع الشخصية التي سادت على حياتي! إني أود أن يكون يسوع هو سيد حياتي وأن ينزع مني كل شيء ويهبني الغبطة التي وهبها لأولئك الشابات».

وفي اللحظة التي قلت فيها للرب يسوع «ادخل قلبي يا ربي» حدث أمر عجيب، لم يكن هناك أي حركة للعواطف، ولم أر رؤى، ولم أسمع صوتاً، ولكن لأول مرة في حياتي صار الله حقيقة ملموسة لي، وعرفت أن المسيح له المجد قد غيرني، وجعلني شخصية جديدة، طاهرة لطيفة، وتذوقت طعم السلام الحقيقي الذي كنت أتمناه، وأشهد إنني وجدت في يسوع سلاماً فياضاً وبهجة دائمة لم أجدهما في المال الوفير، أو الشهرة الواسعة، أو المركز الكبير!!

وهكذا استيقظت هذه المرأة لتقابل الرب وتسعد به، ولا بد لكل فرد أن يستيقظ يقظة روحية قبل نواله الخلاص «لذلك يقول استيقظ أيها النائم وقم من الأموات فيضيء لك المسيح» أفسس ٥: ١٤.

٢- الخطوة الثانية التوبة الحقيقية:

وقف بولس الرسول يعظ فيلكس الوالي برسالة الله «وبينما كان يتكلم عن البر والتعفف والدينونة العتيدة أن تكون ارتعب فيلكس وأجاب أما الآن فاذهب ومتى حصلت على وقت أستدعيك» أع ١٤: ٢٥، وهذا الرجل هو صورة للشخص الذي يستيقظ ضميره ليواجه الله، ولكنه لا يخطو الخطوة الثانية، خطوة العزم القلبي على ترك خطاياه، ففيلكس قد ارتعب من تأثير الكلمة، واهتز كيانه أمام الحقائق الأبدية، لكنه قال لبولس، «اذهب الآن ومتى حصلت على وقت أستدعيك»، وبهذا وضع أمر خلاصه بعد قضاء مآربه ولذاته، فقد عرف الرجل أن الخلاص يتطلب منه ترك دروسيلا المرأة غير الشريفة التي كان يحيها، وترك الرشوة التي فتح يده لقبولها، وترك الشرور التي كان يرتكبها، لكنه لم يكن يريد ترك الأوزار فهدأ يقظة ضميره بالتأجيل ومات في خطاياه.

فاليقظة الروحية لا بد أن يعقبها توبة حقيقية لنوال الخلاص، ونحن نرى هذا بوضوح فيما حدث يوم الخمسين، فبعد أن نخست قلوب الناس في ذلك اليوم من تأثير الكلمة، سألوا بطرس وسائر الرسل «ماذا نصنع أيها الرجال الأخوة؟» فقال لهم بطرس «توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا» ولقد كانت التوبة هي الرسالة الجوهرية في خدمة الأنبياء والرسل والرب يسوع نفسه، فأشعياء يقول «ليترك الشرير طريقه ورجل الإثم أفكاره وليتب إلى الرب فيرحمه وإلى إلهنا فإنه يكثر الغفران» أش ٥٥: ٦، ويوحنا يعظ الجموع قائلاً «توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات» متى ٣: ٢، والرب يسوع يحذر المهملين بالقول «إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك

تهلكون» لو ١٣: ٣، وبطرس يردد للجماهير التي سمعته «فتوبوا وارجعوا لتمحى خطاياكم لكي تأتي أوقات الفرج من وجه الرب» أع ٣: ١٩. وبولس ينادي للأثينيين برسالة التوبة قائلاً «فالله الآن يأمر جميع الناس في كل مكان أن يتوبوا متغاضياً عن أزمنة الجهل» أع ١٧: ٣٠. فالتوبة إذاً هي مفتاح نوال اختبار الخلاص.

لكن ما هي التوبة؟ وقف دكتور في اللاهوت في اجتماع حافل يعظ عن التوبة. لكنه بدلاً من أن يشرح معنى التوبة. حاول أن يتكلم في لغة رفيعة وفلسفة عالية حتى أن الجمهور لم يفهم ما هي التوبة وكان حاضراً أحد القسوس المختبرين. وكان شيخاً وقوراً. فطلب من الدكتور الجليل أن يسمح له بالحديث إلى الجمهور خمس دقائق. وصعد القسيس الشيخ فوق المنبر وعصاه بيده ثم واجه الجمهور قائلاً «هذه هي التوبة!! وبينما كان الجمهور ينتظر ما سيقول، نزل من فوق المنبر، وسار في ممر الكنيسة وهو يضرب على الأرض بعصاه ويردد العبارة «أنا ذاهب إلى الجحيم ... أنا ذاهب إلى الجحيم ... أنا ذاهب إلى الجحيم» وكان الجمهور يتأمله في ذهول وهو يردد هذه الكلمات، حتى وصل إلى منتصف الممر ثم أدار وجهه نحو المنبر وشرع يضرب بعصاه على الأرض ويقول «أنا ذاهب إلى السماء، أنا ذاهب إلى السماء» ثم ارتقى المنبر وتكلم للجمهور قائلاً: هذه هي التوبة الحقيقية ... كنت في طريقي للجحيم، فعزمت على ترك الطريق القديم، والعودة إلى الله. كنت في طريق مخالف لإرادة الله، فعدت إلى طريق طاعة الله. إن التوبة تعني ترك الطريق الملتوي الأثيم، وترك أفكار الشر والرجوع إلى الرب لطلب الرحمة الغفران .. لكن من أسف أن كثيرين يتوبون في ساعة الضيق كتوبة فرعون ثم لما يأتي الفرج يقودون إلى خطاياهم من جديد، بينما التوبة بحسب إرادة الله تعني تغيير الفكر عن الخطية وعدم الاستهانة بها، فيحس المرء من ناحية الخطية بذات إحساس الله من جهتها، والدليل القاطع على التوبة الحقيقية هو الانقطاع الإرادي عن الخطية، لأن الفرد يجد شبعه وسعادته في الرب.

٣- الخطوة الثالثة الاعترافات الشخصية:

الاعتراف أمر جوهري وخطوة لازمة لنوال الخلاص، لذلك يتكلم هوشع قائلاً «خذوا معكم كلاماً وارجعوا إلى الرب. قولوا فه ارفع كل إثم واقبل حسناً فنقدم عجول شفاهنا» هو ١٤: ٢، وداود يتحدث عن أهمية الاعتراف قائلاً «لما سكت بليت عظامي من زفيري اليوم كله ... اعترف لك بخطيتي ولا أكتم إثمي. قلت أعترف للرب بذنبي وأنت رفعت آثام خطيتي» مز ٣٢: ٣ – ٥ ومعنى هذا أن داود لم يجد راحة من آثامه إلا بالاعتراف، فالاعتراف هو طريق راحة القلب من ثقل الخطية، وهو وسيلة راحة النفس من عقدة النقص التي تنغص الحياة، وهو الدليل الملموس للعزم على ترك الخطية، ولذلك فنحن نقرأ عن الابن الضال أنه لما أراد أن يعود إلى أبيه قال «أقوم وأرجع إلى أبي وأقول له يا أبي أخطأت إلى السماء وقدامك ولست مستحقاً بعد أن أدعي لك ابناً»، وليس شك أن اعتراف الابن الضال لأبيه قد أزاح عن كاهله حمل خطاياه، ولذا فصاحب الأمثال يقول «من يكتم خطاياه لا ينجح ومن يقرّ بها ويتركها يرحم» أم ٢٨: ١٣ ويوحنا الحبيب يكتب قائلاً «إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم» ١ يو ١: ٩ وهذه الكلمات تعني أننا لما نعترف لله بخطايانا نعترف للأمين الذي لا يفشي أسرارنا، ولا يفضح أعمالنا، وللعادل الذي أخذ عقاب هذه الخطايا في الصليب، وهو لذلك «يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم».

ومع الاعتراف لله، ينبغي أن نعترف للناس بالزلات التي ارتكبناها في حقهم، وبالاساءات التي وجهناها إليهم كما يقول يعقوب الرسول «اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات» يع ٥: ١٦ وكما أوصانا رب المجد «فإن قدمت قربانك إلى المذبح وهناك تذكرت أن لأخيك شيئاً عليك. فاترك هناك قربانك قدام المذبح واذهب أولاً اصطلح مع أخيك وحينئذٍ تعال وقدم قربانك» متى ٥: ٢٣ و ٢٤

إن إلهنا ليس جائعاً إلى قرباننا، ولكنه جائع إلى القلوب الغافرة الصافية التي تصفح عن الآخرين، وتعترف بالإساءات لمن آذتهم بإساءاتها.

عاش منذ زمن ليس ببعيد رجل اسمه هوكمان، عزم على أن يعيش لله، وكان روح الله يعمل في قلبه ويطالبه بأن يكتب إلى ستة أشخاص في بلاد بعيدة كان قد أساء إليهم منذ وقت طويل، ولم يسترح هو كمان إلا بعد أن كتب ستة خطابات لهؤلاء الأشخاص، ويقول الرجل في اعترافه «أحسست بأن سلام الله ملأ قلبي عندما اصطدمت الخطابات بقاع صندوق البريد».

٤- الخطوة الرابعة الثقة القلبية:

هذه هي النقطة المركزية لنوال الخلاص، وهي خطوة الإيمان في عمل المسيح الذي أجراه على الصليب، وكم من أشخاص يتصورون أن الإيمان بالمسيح مسألة معقدة، مع أنه أمر بسيط للغاية ... لما سأل حافظ سجن فيليبي بولس وسيلاً «يا سيدي ماذا ينبغي أن أفعل لكي أخلص؟» قالا «»آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص» ومعنى هذا أنهما طلبا إلى حافظ السجن أن يؤمن بالمسيح رباً «آمن بالرب»؛ وأن يؤمن به مخلصاً «بالرب يسوع» «وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم»؛ وأن يؤمن به ممسوحاً من الله لخلاص البشر «آمن بالرب يسوع المسيح»؛ ونتيجة هذا الإيمان نوال الخلاص كما يقول بولس «لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم. هو عطية الله. ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد» أفسس ٢: ٨ و ٩

سئل شخص مخلص: كيف نلت الخلاص؟ فأجاب: كان الأمر غاية في البساطة فقد اتخذت مكان باراباس! فسئل: وما معنى هذا؟ أجاب: كان باراباس سجيناً في أورشليم ينتظر حكم الإعدام، كان مجرماً، قاتلاً، لصاً، ولو اتخذت العدالة مجراها فيه لصلبوه على الصليب الذي صلب عليه يسوع، لكن يسوع جاء في طريق ذلك الرجل، فحكموا عليه وهو البريء بالصلب، وأطلقوا باراباس المجرم حراً ... ولا شك أن أحد الضباط ذهب إلى باراباس ليبشره بالإفراج عنه وأتخيل أنه جرت بينهما المحادثة التالية:

الضابط: أبشر يا باراباس أنت اليوم حر، حكم بيلاطس بإطلاقك.

باراباس: حر! لا تتهكم عليّ أيها الضابط، أنا في طريقي إلى الموت!

الضابط: لو سار العدل في طريقه لكنت اليوم تساق إلى الصليب لكن رجلاً بريئاً اسمه يسوع الناصري أخذ مكانك هناك، وسيموت هو لكي تخرج أنت حراً ...

ويخرج باراباس، وأتخيله مسرعاً إلى موضع الجلجثة حيث صلبوا يسوع، وهناك يرى الرجل بديله البار معلقاً على الصليب ويسمع صلاته لأجل أعدائه «يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون»، واعتقد أن باراباس تأثر وركع هناك في احد الأركان مكرساً حياته لمن مات بدلاً عنه ... وهذا ما فعلته أنا, رأيت مخلصي والجروح في يديه، وإكليل الشوك على رأسه، وأثر الحربة في جنبه المطعون، وعرفت أنه «مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا تأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا» أش ٥٣: ٥ فوثقت فيما عمله لأجلي، وقلت مع بولس «ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي» وبهذا الإيمان البسيط نلت الخلاص.

يقين الخلاص

بعد أن ينال الفرد الخلاص يحاول الشيطان أن يشككه في اختباره، ولذا فلا بد من أن يمتلئ المؤمن بيقين الخلاص.

دعتني جمعية خلاص النفوس بالمنيا للوعظ بالمجمع الذي أقامته هناك يوم الجمعة ١٦ يوليو ١٩٥٤، وما كنت أستقر في الغرفة التي أعدتها الجمعية لي، حتى جاءني شاب تبدو عليه علائم الهدوء والحياء وقال في أدب جم: هل يمكن أن تعطيني جزءاً من وقتك؟ قلت: بكل تأكيد. جلس الشاب على حافة مقعده وقال بصوت خافت: تجددت سنة ١٩٤٨، ولكنني لم أذق طعم السرور أو السلام منذ ذلك التاريخ لأن الشيطان يشككني من جهة خلاصي، ويحرمني من التمتع بيقين الخلاص، فهل لك أن تزيل شكوكي وتريح قلبي.

تحدثت إلى ذلك الشاب بما أراح قلبه، ودفعني ذلك الحديث أن أكتب للمخلصين عن يقين الخلاص، فمما لا شك فيه أن الشخص المخلص ينبغي أن يتيقن خلاصه، وليس هناك كبرياء أو غرور في الاعتراف بنوال الخلاص، ولو كان الاعتراف بيقين الخلاص كبرياء وغروراً لكان الرسل أول من نضعهم على رأس قائمة المتكبرين المغرورين لأنهم اعترفوا بخلاصهم بكل ثقة ويقين.

فبولس يقول «فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة وأما عندنا نحن المخلصين فهي قوة الله» ١ كو ١: ١٨ ثم يعود فيقرر «لأنني عالم بمن آمنت وموقن أنه قادر أن يحفظ وديعتي إلى ذلك اليوم» ٢ تي ١: ١٢. وأكثر من ذلك يعلن ثقته بنواله إكليل البر فيقول «وأخيراً قد وضع لي إكليل البر الذي يهبه لي في ذلك اليوم الرب الديان العادل» ٢ تي ٤: ٨.

وبطرس يعلن خلاصه في الكلمات «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات» ١ بط ١ - ٣

ويوحنا يقرر يقين خلاصة قائلاً «أيها الأحباء الآن نحن أولاد الله» ١ يو ٣: ٢ «نعلم أننا نحن من الله» ١ يو ٥: ١٩

وأكثر من هذا يكتب للمؤمنين ليؤكد لهم خلاصهم قائلاً: «أكتب إليكم أيها الأولاد لأنه قد غفرت لكم الخطايا من أجل اسمه» ١ يو ٢: ١٢ «كتبت إليكم أنتم المؤمنين باسم ابن الله لكي تعلموا أن لكم حياة أبدية ولكي تؤمنوا باسم ابن الله» ا يو ٥: ١٣ والرب يسوع نفسه يقول لتلاميذه «افرحوا ... لأن أسماءكم كتبت في السموات» لوقا ١٠: ٢٠

هذه الإعلانات الكتابية ترينا، أن الاعتراف بيقين الخلاص، من امتيازات المؤمن الحقيقي، وذلك لأن هذه اليقين يهدئ عواطف القلب، ويعطي للإنسان بهجة وسلاماً فياضاً.

فكيف يتيقن الإنسان من خلاصه؟ هناك أدلة كثيرة تؤكد للمرء تمتعه بالخلاص، وتغمر قلبه بهذا اليقين الثمين.

١- الدليل الأول شهادة كلمة الله:

إن سر عذاب الكثيرين من أولاد الله هو اعتمادهم على عواطفهم ومشاعرهم من جهة خلاصهم، مع أن العواطف متقلبة، والمشاعر متغيرة، والدليل الأكيد على نوالنا الخلاص ليس هو الشعور البهيج الذي يملأنا، بل هو كلمة إلهنا الثابتة إلى الأبد! وقد كان العبرانيون الذين وضعوا الدم على بيوتهم وهم في أرض مصر في يقين كامل من نجاتهم، لا على أساس عواطفهم ومشاعرهم، بل لأنهم وثقوا في كلمة الله «لما رأى الدم أعبر عنكم» فيقينهم كان مبنياً على وعد الله الأمين وهذا هو الأساس الوطيد لليقين. وماذا تقول لنا كلمة الله؟ «من يؤمن بابن الله فعنده الشهادة في نفسه من لا يصدق الله فقد جعله كاذباً لأنه لم يؤمن بالشهادة التي قد شهد بها الله عن ابنه» ١ يو ٥: ١٠ (اقرأ أيضاً ١ يو ٥: ١١ و ١٢)

يحتفظ لنا التاريخ باختبار جميل في حياة الملكة فكتوريا ملكة الانجليز، كانت الملكة تصلي ذات يوم في كنيسة «القديس بولس» بلندن، وتوجهت بعد العظة إلى راعي الكنيسة وسألته «هل يمكن للمرء أن يتأكد تماماً من نواله الخلاص وهو ما زال على قيد الحياة؟» وكان الراعي رجلاً عصرياً فلم يستطع أن يعطيها جواباً شافياً، لكن رجلاً ممتلئاً من الروح القدس اسمه جون تونزيد، قرأ هذه الحادثة في النشرة الملكية، فقضى وقتاً في الصلاة ثم كتب للملكة المشتاقة إلى التمتع بيقين الخلاص الرسالة التالية: إلى صاحبة الجلالة الملكة فكتوريا من أحد رعاياها المخلصين – أكتب إليك يا صاحبة الجلالة بقلب مفعم بالمحبة؛ لأخبرك في ثقة كاملة بأننا نقدر أن نتأكد تماماً من خلاصنا الأبدي في هذه الحياة، وهذا اليقين مؤسس على كلمة الله التي لا تزول، فأرجوك أن تقرأي يوحنا ٣: ١٦، رومية ١٠: ٩ و ١٠ فهذه الأعداد نؤكد لنا الخلاص التام بالإيمان بيسوع المسيح، وتريح قلوبنا على عمله الكامل لأجلنا ... المخلص: جون تونزند»

تسلمت الملكة العظيمة هذا الخطاب، وكان جون تونزند يصلي مع بعض أصدقائه لأجلها، وبعد أسبوعين تقريباً، تسلم جون تونزند الرد التالي: «عزيزي جون تونزند ... قرأت بتمعن وصلاة الآيات التي أشرت إليها في خطابك الكريم الذي أرسلته لي، وقد ملأتني هذه الآيات يقيناً بخلاصي، على أساس العمل الكامل الذي أجراه المسيح على الصليب لأجلي، وأثق أنني سأقابلك بنعمته في بيت الآب»فكتوريا.

وتعال الآن لنسمع كلمات السيد له المجد «الحق الحق أقول لكم إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية ولا يأتي إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة» يو ٥: ٢٤ وفي هذه الآية الفريدة نجد خمس حقائق:

(١) السماع (٢) الإيمان (٣) امتلاك الحياة الأبدية (٤) النجاة من الدينونة (٥) الانتقال من الموت إلى الحياة ... فمن يستند على كلمة الله لا شك أنه يتمتع بيقين الخلاص.

٢- الدليل الثاني شهادة روح الله:

يكتب رسول الأمم إلى المؤمنين في رومية قائلاً «لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله، إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف بل أخذتم روح التبني الذي به نصرخ يا أبا الآب. الروح نفسه أيضاً يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله» رو ٨: ١٤ – ١٦، ويكتب إلى الغلاطيين قائلاً «ثم بما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً يا أبا الآب. إذاً لست بعد عبداً بل ابناً وإن كنت ابناً فوارث الله بالمسيح» غلا ٤: ٦ و ٧. ويؤكد يوحنا هذه الحقيقة للمؤمنين في قوله «وبهذا نعرف أنه يثبت فينا من الروح الذي أعطانا» ١ يو ٣: ٢٤. ومن كل ما تقدم من آيات نتعلم أن روح الله يشهد للمؤمن بحقيقة بنويته، ويهبه يقيناً كاملاً من جهة خلاصه! والروح القدس يشهد لأرواحنا بواسطة الكلمة المقدسة، كما قال بولس في سفر الأعمال «حسناً كلم الروح القدس آباءنا بأشعياء النبي» أع ٢٨: ٢٥ ففي كل مرة نقرأ فيها كلمة الله بتأمل، أو نسمعها من شخص مخلص ممتلئ، يكلمنا الروح القدس، ويشهد لنا بأننا أولاد الله

٣- الدليل الثالث هو الحياة المتجددة:

الحياة العملية المسيحية، هي الدليل الملموس على صدق اختبارنا مع الرب، لأنه «إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة الأشياء العتيقة قد مضت هوذا الكل قد صار جديداً»، ونجد في شاول الطرسوسي الذي هو بولس الرسول أقوى حجة لصدق كلامنا، فهذا الرجل كان قبل مقابلته للرب في طريق دمشق «مجدفاً ومضطهداً ومفترياً» ولكنه بعد أن قابل الرب، وسلم له مفاتيح حياته يقول «كانوا يسمعون أن الذي كان يضطهدنا قبلاً يبشر الآن بالإيمان الذي كان قبلاً يتلفه. فكانوا يمجدون الله في» غلا ١: ٢٣ و ٢٤ فالحياة المتغيرة دليل على نوال الخلاص.

تخيل أحدهم زكا رئيس العشارين بعد أن قبل المسيح ووعده «إن كنت قد وشيت بأحد أرد أربعة أضعاف» بأن الرجل قد مضى يقرع أبواب بيوت الناس الذين وشى بهم ويرد لهم حقوقهم أربعة أضعاف ويعتذر بأسف حقيقي عن إساءته لهم.

ها هو يقرع باب أرملة باع أثاثات بيتها منذ وقت قصير.

الأرملة – من الطارق؟

زكا – أنا زكا العشار.

الأرملة – وماذا تريد يا سيدي بعد الذي أخذت، بعت أثاثات بيتي، وهدمت عش حياتي، وماذا تريد بعد هذا؟!

زكا – افتحي ... افتحي يا أماه، أنا زكا جديد ... زكا آخر .. أنا عائد لأرد لك أربعة أضعاف ما أخذته منك، واعتذر لك يا أماه عن كل الآلام التي سببتها لك .. إن يسوع قد دخل قلبي وقد غيرني.

من ذا الذي يجرؤ أن يقول بعد هذا إن زكا لم يتجدد؟! أن حياته تشهد له، وإذاً فالحياة الجديدة تؤكد لنا حقيقة اختبارنا.

يقول حزقيال «إن رد الشرير الرهن وعوض عن المغتصب وسلك في فرائض الحياة بلا عمل إثم فإنه حياة يحيا. لا يموت» حز ٣٣: ١٥

فهل ارتهنت أشياء صاحبك ولا تريد أن تعيدها إليه؟

وهل اغتصبت حق البقال، أو الترزي، أو صاحب المنزل، في بلد بعيد وفررت منه؟ .. رد المغتصب إلى صاحبه وإلا فأنت لم تعرف المسيح.

قص ف.ب ما ير اختباره التالي «ذهبت وأنا في شبابي المبكر إلى اجتماع تبشيري وسمعت الواعظ يقول: أيها الأخ إذا لم تكن تعرف يوم ميلادك الثاني، ومكان هذا الميلاد، وبواسطة مَن من خدام الله نلت الخلاص، فأنت إذاً لم تولد الميلاد الثاني!!

ويقول ماير: لم أكن أعرف متى، أو أين، أو بواسطة من نلت اختباري فقد نشأت في عائلة مسيحية، ونلت الخلاص في يوم لا أستطيع أن أذكره، وفي مكان ليس في مقدوري أن أحدده، ولا أذكر أنني تجددت بواسطة أحد رجال الله ... ولذا خرجت من ذلك الاجتماع، والأرض تميد تحت أقدامي، وظللت شهوراً وأنا معذب من الشك، إلى أن قادني الرب إلى اجتماع كان يعظ فيه القس سبرجن وقال رجل الله العظيم في عظته هذه الكلمات « قد لا تعرف أين ولدت ولا متى ولدت، ولكن كونك تحيا وتتنفس الهواء، فهذا أكبر دليل على أنك ولدت في يوم ما، فإذا كانت حياتك المسيحية لامعة، وأنت تتنفس في جو الشركة مع الله، وقلبك ينبض بحب المسيح فأنت قد نلت الخلاص في يوم ما ومكان ما .. ولا داعي للاضطراب!»

ويسجل ماير بعد ذلك هذه العبارات: «خرجت من الاجتماع وأنا أكاد أطير كالعصفور لأن يقين الخلاص ملأ قلبي»!!

فهل لك الحياة المتجددة. المطيعة لصوت الرب!؟ وضع يوحنا الحبيب هذا الامتحان ليعرف به المرء حقيقة نفسه!! «بهذا نعرف أننا قد عرفناه إن حفظنا وصاياه. من قال قد عرفته وهو لا يحفظ وصاياه فهو كاذب وليس الحق فيه وأما من حفظ كلمته فحقاً في هذا قد تكلمت محبة الله. بهذا نعرف أننا فيه. من قال إنه ثابت فيه ينبغي أنه كما سلك ذاك هكذا يسلك هو أيضاً .. من قال إنه في النور وهو يبغض أخاه فهو إلى الآن في الظلمة» ١ يو ٢: ٣ – ٩. فما هو موقفك إزاء هذا الامتحان الصريح؟ هل تدرس كتابك المقدس لتعرف الحق وتسير فيه بهذا نعرف أننا قد عرفناه.

٤- الدليل الرابع هو محبة الإخوة:

في يقين شديد يتحدث يوحنا الحبيب قائلاً «نحن نعلم أننا قد انتقلنا من الموت إلى الحياة لأننا نحب الإخوة. من لا يحب أخاه يبقى في الموت. كل من يبغض أخاه فهو قاتل نفس وأنتم تعلمون أن كل قاتل نفس ليس له حياة أبدية ثابتة فيه» ١ يو ٣: ١٤ و ١٥ «من يحب أخاه يثبت في النور وليس فيه عثرة. وأما من يبغض أخاه فهو في الظلمة وفي الظلمة يسلك ولا يعلم أين يمضي لأن الظلمة أعمت عينيه» ١ يو ٢: ١٠ و ١١ فالمحبة للإخوة هي دليل رائع على حقيقة اختبارنا، ويقيناً أن المحبة هي رباط الكمال وهي الملكة المتوجة في الأبدية السعيدة، عنها قال رسول الأمم «إن كنت أتكلم بألسنة الناس والملائكة ولكن ليس لي محبة فقد صرت نحاساً يطن أو صنجاً يرن».

وقد كتب القس هملتون تفسيراً جليلاً لمميزات المحبة كما وردت في الإصحاح الثالث عشر من الرسالة الأولى إلى الكورنثيين قال:

١.»المحبة تتأنى» إذا ما أوعز الناس صدورنا.

٢.»ترفق« إذا لم يكافئنا الناس عن إحساننا. وترفق بالجهال والضالين منا.

٣.»لا تحسد« أي أنها لا تغار من نجاح الآخرين، ولا تغمطهم حقهم من التقدير والاستحسان.

٤.»لا تتفاخر« أي لا تعتد بذاتها ولا يأخذها الزهو والغرور.

٥.»لا تنتفخ« يعني أنها لا يمكن أن تتكبر وتتعظم.

٦.»لا تقبح« أي لا تغضب أحداً بأقوال نابية.

٧.»لا تطلب ما لنفسها« أي أن الأثرة والأنانية لا مكان لها فيها فهي دائماً تفضل الآخرين على نفسها.

٨.»لا تحتد« أي ليست سريعة الغضب.

٩.»لا تظن السوء« أي لا تضمر العداء ولا تحمل حقداً.

١٠.»لا تفرح بالإثم« أي لا يجذبها رواء الغش ولا يسرها ما يحيق بالآخرين من ظلم وجور.

١١. »تفرح بالحق« أي تسر لنصرة الحق، وتفرح إذا ما نالت العدالة من عداها من الناس.

١٢. »تحتمل كل شيء« أي تعرف كيف تسكت ومتى تصمت.

١٣. »تصدق كل شيء« أي أنها مملوءة ثقة وإيماناً دون قلق.

١٤. »ترجو كل شيء« أي أنها مفعمة رجاء ويقيناً دون يأس أو استسلام.

١٥. »تصبر على كل شيء« أي أنها مشحونة صبراً واحتمالاً.

١٦. »لا تسقط أبداً« فهي ستستمر إلى آباد الدهور.

وإن كانت محبتنا البشرية يعتورها الفشل والوهن، فإن المحبة الإلهية لا تعرف إليهما سبيلاً ..

تلك هي مميزات المحبة العجيبة التي وهبنا الله إياها في المسيح يسوع، فهل لنا هذه المحبة في قلوبنا من نحو الإخوة إذاً لنرددها هاتفين »نحن نعلم أننا قد انتقلنا من الموت إلى الحياة لأننا نحب الإخوة«. ولنتمتع ونبتهج بيقين الخلاص.

الفصل الرابع: اختبار قوة الصلاة

حدث هذا الاختبار العجيب للرئيس الأمريكي ايزنهاور، ونشرته مجلة ريدرز دايجست سنة ١٩٤٩: كان ايزنهاور في الثالثة عشرة من عمره حين زلقت قدمه وهو يعدو في طريقه إلى البيت عائداً من المدرسة، وقد أصيبت ركبته بخدوش حسبها في أول الأمر يسيرة ولكن ساقه آلمته في المساء، فراح يغالب إحساسه بالألم ويتجلد كما عوده أبوه. وقبل أن يأوي إلى فراشه في تلك الليلة، ركع وأخذ يصلي كعادته كل ليلة، ثم صعد إلى سريره لينام. ولما استيقظ في صباح اليوم التالي، كان ألمه ما زال شديداً، ولكنه أخفى الأمر، وراح يتأهب للخروج إلى المدرسة، بينما كان والداه منصرفين إلى أعمالها الصباحية في المزرعة ... وبعد يومين كانت العلة قد تفاقمت فعجز عن السير، وكان اليوم يوم عطلة أسبوعية. فخرج إخوته مبكرين إلى المزرعة مع والديهم، بينما اضطر هو إلى التخلف في البيت وحده ولم يفطن أبواه إلى غيابه إلا ساعة الضحى، فأرسلا من يبحث عنه، فوجده في البيت يتلوى من الألم بعد أن طفح الكيل ولم يعد في وسعه أن يكبت شعوره، ولما سأله عن علته أشار إلى ساقه وقد تورمت إلى ما فوق ركبته واكتست بلون أزرق داكن. وأسرع الرسول إلى والديه في المزرعة ينبئهما بما رأى، فعادا على عجل، وحاولت الأم

أن تخلع حذاء ولدها فلم تستطع واضطرت إلى تمزيقه، ثم راحت تغسل الساق بماء ساخن إلى أن يحضر الطبيب الذي أرسل الأب يدعوه. وكانت كلما مرت بيدها على الساق صرخ الصبي بحدة ونضح وجهه بالعرق، ولكن الأم لم تضعف إزاء صرخات ابنها، وراحت تؤدي عملها في صمت!

وحضر الطبيب، وفحص الساق، ثم قال في صوت خفيض «لست أعتقد أننا نستطيع الآن إنقاذ ساق الغلام» فحملق الولد في وجه الطبيب ثم قال: «ماذا تعني يا سيدي؟» فأجاب وقد أراد أن يتحين الفرصة ليواجهه بالحقيقة: «أعني أننا قد نضطر إلى بتر الساق إذا ساءت الأمور» فصاح الصبي في حزم: «لا .. لا يمكن أن يحدث ذلك. إنني أوثر الموت على أن أعيش بساق واحدة» فقال الطبيب: «كلما انتظرنا يا عزيزي ... اضطررنا إلى بتر جزء أكبر» فقال الولد – وكانت الأم قد أدارت وجهها لتخفي عنه عبراتها المنهمرة، وعجز الأب عن مغالبة عواطفه فخرج إلى الردهة الخارجية: «لا. لن تقطعوا رجلي».

وخرج الطبيب من غرفة الصبي بعد أن أشار إلى الأم أن تتبعه وبينا كان واقفاً في صالة البيت، يشرح لوالدي الصبي ما يحتمل حدوثه إذا توانيا في بتر ساق ابنهما، سمعوا الصبي يقول لأخيه الأكبر في صوت متقطع حاد النبرات: «ادجار، ادجار، تعال هنا .. إذا ضعفت ولم أتمكن من المقاومة وحدي لا تدعهم يقطعون رجلي هل تعدني بذلك؟». وشاهدت الأم ولدها ادجار يسرع نحو المطبخ فلما خرج منه سألته: «اردجار .. ماذا يطلب أخوك؟» فقال: «إنه يطلب شوكة ليضعها في فمه كي يعض عليها ساعة اشتداد الألم، فلا تسمع تأوهاته». ثم حدج الطبيب بنظرة تحد عجيب، وقال في صوت أجش: «لن يجرؤ مخلوق على قطع رجل أخي» فقال له الطبيب: «ولكنك سوف تندم على هذا، إن ذلك ليس إكراماً لأخيك، فتأخير إجراء الجراحة قد يودي بحياته» أجاب ادجار: «لعل ما تقول صحيح، ولكنني أعطيته كلمة شرف. ولن أخلف وعدي مهما تكن النتيجة».

وذهل الأبوان لهذه الجرأة من ولدهما الأكبر، ولا سيما أن تحدي الصغار لمن يكبرونهم كان أمراً لم يتعوده أبناؤهما من قبل، على أنهما ما لبثا أن تأثرا بموقفه. ورفضا هما الآخران أن يذعنا لرغبة الطبيب وإلحاحه ... وخرج الطبيب، ولكن ادجار – برغم ذلك أصر على ألا يغادر باب غرفة أخيه، وظل كذلك يومين ارتفعت أثناءهما حرارة الصبي، ولم تهدأ فيهما نوبة الألم الحاد لحظة واحدة وأخذت زرقة الساق تزحف إلى أعلى كما تنبأ الطبيب تماماً، ولكن ادجار ظل ثابتاً على رأيه، ولما حضر الطبيب وحاول إقناعه وإقناع والديه مرة أخرى بضرورة الإسراع في بتر الساق، ثار الولد في وجهه وأصر على الرفض، فخرج الطبيب غاضباً وهو يقول: «إنكم تقتلون الغلام، لا شيء يمكن أن ينقذ الولد الآن سوى معجزة من السماء ...» ورنت كلمة «معجزة» في آذان الأب والأم والأخ، فإذا بهم في غمرة الحزن واليأس والارتباك، ينهضون من أماكنهم ثم يركعون بجوار الفراش وترتفع أصواتهم في صلاة حارة ضارعين إلى الله أن ينقذ فتاهم الصغير العزيز ... وكانت صلاتهم ممتزجة بالدموع والإيمان.

وفي الصباح التالي حضر الطبيب ووقف إلى جوار الصبي فإذا به يلاحظ أن التورم قد بدأ يخف، كما بدأت الزرقة تنحسر ولما أظهر الطبيب دهشته، وعرف من الأم قصة الصلاة، أغلق عينيه ثم تلا صلاة شكر قصيرة وقد فاض السرور في وجهه ... وقال لأفراد الأسرة الملتفين حوله: «إن حالة الولد بدأت تتحسن، وقد غيرت رأيي الآن، فلست أرى ما يدعو إلى بتر الساق، إن المعجزة قد جاءت من السماء» واستغرق ايزنهاور لأول مرة منذ وقوع الحادث في نوم عميق، ولما حل المساء وأضيئت المصابيح فتح عينيه ثم أدارهما فيمن حوله وهمس قائلاً: «شكراً لله، ولأخي ادجار ولكم جميعاً، لقد ذهب عني الألم وإني الآن أشعر بأني قد ولدت من جديد!» ولم تمض أيام حتى كان في استطاعته أن يقف على قدميه، ثم لم تمض أيام أخرى حتى عاد سيرته الأولى، ومضى الحادث كأنه ما كان!!

بحق رنم داود في مزموره الجميل قائلاً «يا سامع الصلاة إليك يأتي كل بشر» مز ٦٥: ٢، فالصلاة هي «الموصل» الذي يوصل بين الإنسان وغير المنظور، وهي «الجسر» الذي يعبر غمر الأبدية وهي «الطريق» الذي يجعل قلب الإنسان يردد صدى صوت الله، ومتى انعدمت الصلاة انعدم معها الدين الحقيقي الحي.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

الفصل الخامس: اختبار قيادة الله

أين يذهب المؤمن الحقيقي لطلب الإرشاد في ظروف الحياة العادية؟ وأين يذهب لحل مشاكله المعقدة؟ ومن يستشير حين يقدم على الزواج، أو على اختيار مهنة الحياة؟ هل يذهب إلى المنوم المغناطيسي، أو إلى ضارب الرمل، وقارئ الكف، وقارئة الفنجان؟ أو يلجأ إلى جلسات مناجاة الأرواح وأصحاب الجان والسحرة والمنجمين؟

لقد حرم الله في كلمته هذه الوسائط قائلاً «لا تتعلم أن تفعل مثل رجس أولئك الأمم لا يوجد فيك من يجيز ابنه أو ابنته في النار ولا من يعرف عرافة ولا عائف (أي متشائم) ولا متفائل ولا ساحر ولا من يرقى رقية ولا من يسأل جاناً أو تابعة ولا من يستشير الموتى لأن كل من يفعل ذلك مكروه عند الرب» تث ١٨: ١٩ – ٢٢ ومن هذه الآيات نتعلم أن الله يحرم التشاؤم والتفاؤل من الأرقام، والأشخاص، وأصوات الطيور، كما يحرم السحر والرقية، وسؤال أصحاب الجان والتوابع واستشارة الموتى، لأن كل هذه الأعمال هي رجس الشيطان، وكل من يفعلها هو مكروه عند الرب،

ومن الجهة الأخرى ضمن الله قيادة أولاده في موكب الحياة الزاخر، فكان يرشد شعبه قديماً بالأحلام، والأنبياء، والأوريم والتميم «والأوريم والتميم» كلمتان عبريتان معناهما «الأنوار والكمالات» وكانا يوضعان في صدرة القضاء، وعنهما قال موسى للاوي «تميمك بالجان واصعدي لي من أقول لك » فالجلسة إذاً بدأت بواسطة الجان واستمرت تحت سيطرته وقيادته بحسب طلب الملك شاول.

٣- منع الله استشارة الموتى في تث ١٨: ١٠ – ١٢ بقوله «لا يكن فيك ... من يستشير الموتى» وفي أش ٨: ١٩ و ٢٠ إذ قال «وإذا قالوا لكم اطلبوا إلى أصحاب التوابع والعرافين المشقشقين والهامسين ألا يسأل شعب إلهه، أيسأل الموتى لأجل الأحياء إلى الشريعة وإلى الشهادة إن لم يقولوا مثل هذا القول فليس لهم فجر» فهل يمكن أن يخالف صموئيل وصايا الله بعد موته. وهو النبي التقي الذي اشتهر بالطاعة لله في حياته؟ وهل الممنوع على الأحياء مباح للموتى؟ أو هل القوى الشيطانية تقدر أن تجبر الأرواح الراحلة على عصيان مشيئة الله؟

٤- في العددين الثاني عشر والثالث عشر نجد هذا المنظر الغريب، صرخت المرأة العرافة، وأرادت بهذه الصرخة أن تأخذ وعداً من شاول بالعفو عنها، لأنه كان قد أباد أصحاب الجان والتوابع من الأرض، ولا شك أنها عرفته من منظره وطول قامته، ومن معاملة حاشيته له، فلما أعطاها الملك الوعد، سألها: ماذا رأيت؟ قالت «رأيت آلهة يصعدون من الأرض؟» ومع أن المرأة تكلمت في صيغة الجمع فقالت «رأيت آلهة» إلا أن الملك الجائر المضطرب سألها سؤالاً بصيغة المفرد قائلاً: «ما صورته؟» وهنا أجابته العرافة بمكر فصورت له شخصية صموئيل التي كانت معروفة لها ولا ريب، ووصفت النبي بأنه مغطى بجبة، وليس يعقل أن الأرواح ترتدي ملابسها في عالم الخلود، وهكذا تولى الروح المضل الذي ظهر تمثيل الدور تمثيلاً متقناً.

٥- قال الروح الذي ظهر لشاول «غداً أنت وبنوك تكونون معي» ١ صم ١٨: ١٩ وهذا دليل قوي على أن المتكلم هو الشيطان لأن شاول كان سيذهب إليه في اليوم التالي، إذ لا يصدق عاقل أن شاول المرتد عن الله، الذي انتهت حياته بالالتجاء إلى الجان، ومات منتحراً، يذهب إلى ذات المكان الذي ذهب إليه صموئيل؟ إذ ما هو الفرق بين البار والشرير وبين نهاية الأبرار ونهاية المتمردين الفجار؟

٦- أشاع الروح الذي ظهر إحساس الخوف الشديد في قلب شاول وسلبه قواه المعنوية، وهذا عمل الشيطان للإنسان عدد ٢٠ وهكذا ترينا القصة في وضوح أن هذه الجلسة التي تمت تحت ستار الظلام – تماماً كما يفعل أصحاب هذا المذهب الأثيم – قد سيطر عليها الشيطان، ومثل فيها دوره خير تمثيل حين قلد شخصية صموئيل «ولا عجب لأن الشيطان نفسه يغير شكله إلى شبه ملاك نور» ٢ كو ١١: ١٤. وهذا يحذرنا من الالتجاء إلى هذه الأرواح لأنها «أرواح شياطين صانعة آيات» والمؤمن المطيع الخاضع للرب له هذا الوعد الكريم «أذناك تسمعان كلمة خلفك قائلة

هذه هي الطريق اسلكوا فيها حينما تميلون إلى اليمين وحينما تميلون إلى اليسار» أش ٣٠: ٢١

من بين الاختبارات الملذة عن قيادة الله اختبار «أم الأيتام المصريين – مس ليليان تراشر» هذه الفتاة التي لمس الرب قلبها بمحبته الفائقة. وحرك أنامله الذهبية على أوتار ذلك القلب، فجعل منها أوتاراً تعزف أناشيد الرحمة والحب والحنان. فأسست هذه الفتاة المباركة ملجأ الأيتام بأسيوط، ذلك الملجأ الذي يأوي المئات من اليتامى والأرامل والعاجزين.

اسمعها تقص قصة حياتها فتقول «ذهبت في ليلة من ليالي الثالثة والعشرين من عمري إلى اجتماع كانت تتكلم فيه مرسلة أمريكية عقب رجوعها من الهند عن الحاجة إلى أشخاص يكرسون أنفسهم لخدمة الرب، وما إن سمعتها تتكلم حتى سمعت صوتاً في قلبي يناديني أن اذهب إلى إفريقيا، ولما كنت قد صرفت كل ما أمتلك استعداداً لحفلة زفافي التي كان ميعادها بعد عشرة أيام من تلك الليلة الخالدة في تاريخ حياتي، لم يكن لدي سوى جنيه واحد، وماذا يفيد هذا الجنيه؟ أصبحت في موقف دقيق، إذ كان علي أن أختار بين أن أفضل الزواج على إطاعة دعوة الله، أو أن أطيع أمر الله وأرفض الزواج. فعرضت على خطيبي أن يرافقني إلى إفريقيا فأبى فتركته وخضعت لأمر إلهي.

كنت أعمل في ذلك الوقت كمساعدة لمس ماتي بيري في ملجأها في ماريون بكارولينا. فلما جاءتني دعوة الله جهزت حقيبتي استعداداً للرحيل وأخبرت أصدقائي بعزمي على السفر، فساعدني بعضهم بمبلغ ثلثمائة وستين قرشاً، وأخبروني عن مؤتمر المرسلات المنعقد في بيتسبرج، ففكرت أن أذهب هناك لأجمع بعض المعلومات من المرسلات وقلت في نفسي: «عسى أن أهتدي هناك إلى أي جهة من أفريقيا يريدني الله أن أذهب»، ... أودعت نقودي عند المس ماتي بيري، وهذه حفظتها في درجها، ولما كانت أخت المس بيري مدينة بمبلغ لأحد الناس، وكانت تجهل أن هذه النقود تخصني، سددت دينها بنقودي، والغريب أنني لم أسمع بما حصل إلا ساعة استعدادي للسفر، لكن أصدقائي بذلوا ما في وسعهم لمساعدتي إلا أنهم لم يستطيعوا إحياء مبلغ الثلثمائة والستين قرشاً ....

تأهبت للرحيل، ولكن ثمن التذكرة كان ناقصاً ورأيت أنني سألقي حزناً على قلوب من حضروا لتوديعي إذا رأوني انثنيت عن عزمي، فرأيت أن أقطع المرحلة التي تكفيها نقودي، وسألت بعض الناس فعلمت منهم أنني أستطيع السفر بهذه النقود إلى واشجتون. كنت أجهل واشنجتون، ولا أعرف أحداً بها، ولكن المس بيري قالت إن لها صديقة هناك، وأعطتني خطاباً تقدمني به إليها. وقالت لي: «امكثي معها إلى أن أرسل لك النقود التي تكفيك للسفر إلى بيتسبرج» ... وصلت واشنجتون في الوقت المناسب، حيث وجدت صديقة مس بيري وسلمتها الخطاب وما أن قرأته حتى قالت «إنني أرثي لحالك، ولكنني لا يمكنني أن أقبلك كضيفة في بيتي، لأنني أقوم بضيافة عائلة مرسل من المرسلين في أسيوط بالقطر المصري ومع ذلك يمكننا أن نتناول الطعام سوياً» كان المرسل الضيف الذي قدموني إليه كمرسلة هو القس برلسفورد.

سألني «أي جهة تقصدين في إفريقيا؟» قلت «لست أدري» سألني «من أرسلك؟» قلت «لم يرسلني أحد» سألني «أطردك أبواك» أجبت «كلا، بل رحلتي هذه بالرغم منهم» سألني «أمعك أجرة السفر؟» قلت «ريال واحد منها».

لا يمكنني أن أتذكر كل ما قاله القس برلسفورد، وكل ما أذكره الآن هو صدى صوته يخترق عباب المحيط، ثم يأتي إلي متموجاً إلى أن يقرع أذني قائلاً «يحسن بك يا ابنتي أن تعودي أدراجك إلى أمك».

لم يثن ذلك عزمي، بل كانت كلماته المثبطة كأنها دوافع تدفعني إلى الأمام، إلى «إفريقيا» وما أنا إلا طائعة صاغرة، مؤمنة بالوعد الكريم «أمين هو الذي يدعوكم الذي سيفعل أيضاً» ١ تس ٥: ٢٤

ضحت إحدى السيدات بغرفتها لي، ومكثت في ذلك البيت يومين، وقبل أن أرحل سألني القس برلسفورد أن أعاونه في عمله بأسيوط بالقطر المصري، فأجبته «بالحقيقة إنني لم أعزم قط على المجيء إلى واشنجتون، فيظهر أن رغبة الله قادتني إلى هنا لأقابلك» وفي الحال شعرت بصوت يناديني قائلاً «اقبلي الدعوة إلى أسيوط» وبطريق ما

All rights reserved © 2008 - 2014

رتب الله لي أجر سفري وبعد أن صليت في غرفتي قبل الإبحار سألني أحدهم أن أفتح الإنجيل وأطلب من الله أن يبين لي إرادته فيه ففعلت، وإذا بالعدد الذي جذب عيني من أعمال ٧: ٤٧ وعجيب أن تسمع أن هذا العدد رأيته في تلك اللحظة لأول مرة في حياتي، وهذا نصه « »إني لقد رأيت مشقة شعبي الذي في مصر وسمعت أنينهم ونزلت لأنقذهم فهلم الآن أرسلك إلى مصر» وهكذا بهذه الطريقة الواضحة وضع الله ختمه النهائي على دعوته لي. وجئت إلى مصر.

وبمثل هذه الطرق العجيبة يقود الله أولاده الأمناء، فلنتقدم الآن إلى مقادس الكلمة الإلهية لندرس هذا الموضوع الجليل.

الفصل السادس: الزواج والاختبار

نشرت مجلة «كورنت» القصة التالية «قضى أحد الفنانين بضع سنوات يسجل بريشته الجمال حيث كان، ولكنه لم يقنع بما رسمه من لوحات. فراح يبحث عن أجمل شيء في الوجود ليرسمه. وأثناء بحثه قابل رجلاً من رجال الدين فحدثه عن فكرته وسأله عن رأيه: فقال رجل الدين «إن أجمل ما في الوجود يا ولدي هو الإيمان، فإنك تجد ما يغنيك في الله المحب الحنان». وواصل الفنان بحثه، فصادف زوجين حديثي العهد بالزواج، فوجه إليهما نفس السؤال، فأجابا «إن أجمل ما في الوجود هو الحب، فالحب يحيل الفقر ثروة، والظلمة نوراً، والدموع فرحاً، فلا جمال في الحياة بغير الحب» وسار الفنان في طريقه يواصل البحث فرأى جندياً متعباً، عائداً من القتال، فوجه إليه سؤاله، فأجاب الجندي: «إن أجمل شيء في الوجود يا سيدي الفنان هو السلام، وحيث يوجد السلام لا شك أنك ستجد الجمال في أروع صوره وأعلى درجاته»

ومضى الفنان في طريقه وهو يهمس لنفسه «الإيمان ... والحب والسلام، ترى كيف أصورها؟» وعاد إلي بيته وهو مكدور الذهن من التفكير، ولكنه ما إن دخل البيت حتى وجد بغيته، ففي عيون أطفاله رأى الإيمان مجسماً، وفي ابتسامة زوجته وجد الحب ناطقاً وفي أرجاء بيته الهادئ رأى السلام المقيم .... فرسم الفنان العظيم صورة «أجمل شيء في الوجود» وعندما فرغ منها سماها «البيت السعيد»

وليس شك في أن البيت السعيد هو «أجمل شيء في الوجود»، هو أمل كل شاب يبحث عن زوجة، وأمل كل فتاة تتطلع إلى فتى أحلامها.

ويجدر بنا ونحن بصدد الحديث عن البيت السعيد أن نتحدث أولاً عن:

كيف تختار زوجتك؟

إن زيجات كثيرة قد تحطمت على صخرة الاختيار الخاطئ والشاب العاقل هو الذي لا يقدم على الزواج إلا بعد تأمل وانتظار وتفكير.

حدثنا أحدهم عن شاب أراد الزواج، فأرشده صديق له إلى رجل كان له سبع بنات جميلات، كن يملأنا البيت روعة وجلالاً، وكان اسم الفتاة الأولى «الجمال» واسم الثانية «الأنوثة» واسم الثالثة «الخفة» واسم الرابعة «الحنان»، واسم الخامسة «الوفاء» واسم السادسة «الصحة»، واسم السابعة «العقل»، لكن الشاب مضى وراء عينيه، فلم يختر الوفاء، ولم يختر العقل، ولم يختر الحنان، وإنما اختار «الجمال»، فلما أخذ عروسه وذهب بها إلى بيته وهو يظن أنه أسعد من في الوجود، إذا به يرى ذلك الجمال وقد ذبل وانهار وتحول إلى تمثال من الملح البارد الجامد الخالي من كل عاطفة أو إحساس.

منذ وقت ليس ببعيد أبدى مستر جورج ايفالدي، وهو أحد رجال الصناعة في فيلادلفيا استعداده للتنازل عن كل ثروته للمرأة المثالية على شرط أن توجد هذه المرأة.

All rights reserved © 2008 - 2014

لكن ما هي شروط المرأة المثالية؟ هل هي التي تقوى فيها عاطفة الأمومة؟ أم هي المرأة الوفية؟ أم هي المرأة الصبورة المحتملة؟ في اعتقادي أن المرأة المثالية هي المرأة التي تسعد الرجل الذي تتزوجه، وتنشر الهناء في المحيط الذي تعيش فيه، وتحمل معها الحنان، والحب، والعطف، أينما ذهبت، وتجعل العطاء قاعدة حياتها إنها المرأة التي تشعر زوجها بالحياة في شبابه، وتكون صديقته إذا انتصف به العمر، وممرضة له إذا وهن منه العظم.

فهل يمكن أن يجد الشاب هذه الزوجة؟ هناك بعض إرشادات تقي كل مقدم على الزواج من الاختيار الخاطئ نذكرها فيما يلي:

١- لا تتزوج بفتاة غير متجددة بحجة أنها قد تتجدد مستقبلاً:

إن أمر الرب «لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين» ٢ كو ٦: ١٤ وكل تعد لهذا القانون يجر على صاحبه الشقاء.

ذهب أحد الشبان إلى راعي كنيسته يسأله رأيه في أمر زواجه قال: «ما رأيك في الآنسة افلين، إنها شابة جميلة، ومثقفة ومن عائلة عريقة، فهل توافق على أن أطلبها من أبيها؟» سأله الراعي: «هل هي مولودة من الله يا ابني؟» أجاب: «كلا! إنها مؤدبة ومتدينة، ولطيفة جداً». وهنا ارتسمت علامات الجد على وجه الراعي الوقور ثم قال: «أنت يا ابني ابن الله، فأنت تسير على شاطئ نهر الحياة الأبدية، وهي ليست ابنة لله، فهي تسير على حافة الجحيم الأبدي، فكيف يكون بينكما توافق وانسجام؟ قد تسعدا في الشهور الأولى يا ولدي، لكن سعادتكما ستكون في عمر الزهر، ثم تتسع شقة الخلاف بينكما، وتنقلب سعادتكما إلى أشجان، ولن يكون هناك علاج بعد فوات الأوان ... واذكر يا ولدي أن «كل بيت منقسم على ذاته لا يثبت» مت ١٢: ٢٦ .

فحاذر أيها الشاب عندما تختار فتاتك، أن تختار فتاة غير متجددة إن معنى هذا أنك ستعيش في شقاء مقيم. وما نقوله للشاب نقوله للفتاة «خير ألف مرة أن تنتظر الفتاة بغير زواج من أن تتزوج شاباً ينغص عليها حياتها، ويفسد إيمانها، ويقودها إلى الخطية».

٢- تأكد قبل زواجك من التوافق التام بينك وبين الفتاة التي ستتزوجها:

ليس الإيمان هو كل شيء في الزواج، فليس كل شاب مؤمن يصلح لكل شابة مؤمنة، فلا بد إذاً من الانسجام في الأشياء الآتية:

أ- العمر: والعمر أمر هام في الزواج، فاحذر أن تتزوج فتاة تصغرك بعشرين عاماً، إن طبيعة الحياة تنفر من هذا، فالربيع لا يعيش مع الشتاء، والمال، والأثاثات الجميلة، والقصر الملآن بكل معدات المدنية المريحة لا يمكن أن تعوض ربيع العمر وقوة الشباب، لذلك فلا بد من أن يكون السن متقارباً، لقد كان الترتيب الإلهي أن يكبر آدم حواء في حساب الزمن، وأقصى مدة معقولة للفرق في السن بحسب آراء المفكرين هي سبع سنوات.

ب ـ الثقافة والعقلية: لا بد مع توافق العمر، من التناسب في الثقافة والعقلية، ولا ضير في أن يكون الزوج أكثر ثقافة من زوجته، فطبيعة الحياة لا تأبى ذلك، لكن الأمر الهام هو توافق العقلية والمزاج، فمن الصعب أن تعيش امرأة مع رجل غبي، أو يعيش رجل مع فتاة بلهاء ولو كانت في جمال «فينوس»

جـ - البيئة والعائلة: يجب أن تعرف البيئة التي نشأت فيها الفتاة التي ستصبح أماً لأولادك، وشريكة لحياتك. سل أين تعلمت، فبعض الشبان تعجبهم الثقافة الفرنسية، وبعضهم يحبون الثقافة الأمريكية، وآخرون يرغبون الثقافة الشرقية، والبيئة التي تعلمت فيها زوجتك هي التي صنعت منها المرأة التي ستعيش معك.

ومع دراسة البيئة ادرس عائلة الفتاة، إن أخاها هو خال أولادك العتيد، ووالدها هو جدهم، وأختها هي خالتهم، فلا بد إذاً من أن تحسن اختيار الأسرة التي ستأخذ منها فتاتك، ولا بد من التناسب بين عائلتها وعائلتك حتى لا يكون هناك أي مجال للتفاخر والغرور.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

وأخلاق الأهل، في معاملتهم، وحسن تصرفهم، وكياستهم في تصريف الأمور، ومحبتهم، وعواطفهم، وقلوبهم المتسعة لها أهميتها ففكر في هذه الأمور وأنت مقدم على الزواج.

٣- حاذر من زواج البرق، فالزواج القائم على الأساس الجسدي المحض زواج فاشل:

إن الأشياء الروحية لها البقاء بلا شك، لهذا قال لموئيل ملك مسه «الحسن غش والجمال باطل. أما المرأة المتقية الرب فهي تمدح» أم ٣١: ٣٠

كتبت إحدى الفتيات في اعترافاتها هذا الاختبار «أحببت رجلاً لي من زملاء الدراسة من على بعد، راعني جماله، ورشاقة جسمه، وخفة حركاته، وتمنيت في قلبي أن أصير له زوجة، ومرت الأيام وحبه كامن في قلبي، حتى جاء اليوم الذي دعاني فيه إلى نزهة فأحسست بالسعادة تغمرني، وسرت معه وأنا أحس بأن الدنيا لا تسعني، لكنه عندما بدأ يتكلم أحسست أن هناك شيئاً ناقصاً في ذلك التمثال الجميل، فقد كان حديثه خالياً من العاطفة، وكانت أنفاسه تفوح منها رائحة الخمر، وبدا أمامي كأنه قبر من المرمر، وكانت هذه الدعوة هي أول لقاء وآخر لقاء، وقد تعلمت من ذلك اليوم ألا أحلق في وادي الخيال أو أتعلق بالأوهام».

فاحترس يا أخي من أن يجذبك الجمال وحده، أدخل إلى الأعماق لترى ما وراء الحسن، فإن العاطفة الحارة، والحنان الدافق في وجه امرأة متوسطة الجمال، أحسن ألف مرة من الجمود والقسوة في قلب امرأة جميلة.

٤- اطلب وجه الرب للإرشاد بإخلاص:

يقول سليمان الحكيم «البيت والثروة ميراث من الآباء. أما الزوجة المتعقلة فمن عند الرب» أم ١٩: ١٤، ولاحظ أن الزوجة المتعقلة من عند الرب! أما الزوجة غير المتعقلة فليست من عنده بحال من الأحوال!! لذلك يجب أن تصلي كثيراً قبل الزواج بإخلاص من القلب، وتقول للرب أن يختار لك شريكة الحياة. لما صلى عبد إبراهيم أرشده الله إلى رفقة وكانت خير زوجة لاسحق. والرب ما زال مستعداً أن يرشد من يطلب وجهه بلا غرض، ففي صلاتك فرغ نفسك من كل الأغراض المادية، واحذر أن يكون غرضك في الزواج، هو المال، أو وظيفة زوجتك، أو مركز عائلتها، فالزواج التجاري لا يعيش.

كيف تحتفظ بالسعادة الزوجية؟

في العلاقات الزوجية كما في كل العلاقات البشرية، ليست السعادة هبة تمنح، ولكنها نتيجة مجهود يبذل، فالزواج فن، وكل فن لا بد له من الوقت والصبر والمثابرة للتجويد والإبداع فيه، وعلى قدر معرفتنا لفن السعادة الزوجية، نضمن الاحتفاظ بهذه السعادة داخل بيوتنا.

وسأهمس في هذا الفصل ببضع كلمات في أذن كل من الزوجة والزوج على انفراد ...

اسمعي يا سيدتي!!

هل تريدين أن تحتفظي بحياتك الزوجية في ملء سعادتها؟ كتب كاتب اجتماعي كبير يقول: «تستطيع المرأة أن تحفظ بيتها سعيداً، إذا أحبت زوجها أكثر مما تحب نفسها، وإذا أحبت عمله أكثر مما تحب أحاديث الجيران، وإذا أراحته فأخفت عنه الأخبار السيئة، وإذا أضاءت له شمعة الأمل في فترة ظلام اليأس، وإذا قدمت له طعاماً نظيفاً في مواعيد منتظمة، فالطعام النظيف الصحي يحفظ الجسم، ويضمن هدوء الأعصاب. وإذا اعتنت بأناقة بيتها كما تعتني بأناقة ملابسها، وإذا غيرت وبدلت في نظام بيتها حتى لا يشعر بالسأم، وإذا جددت في حديثها، فقرأت كل شيء جديد، وحاولت أن تلخص له الموضوعات التي لم يتسع وقته لقراءتها وإذا لم ينسها حبها لأولادها حبها له، وإذا لم تكذب عليه، وإذا احترمته أمام ا لناس، فلا تسخر منه ولا تهزأ بآرائه بل تشعر الناس أنها تزوجت رجلاً مفكراً،

All rights reserved © 2008 - 2014

وإذا غضبت منه فلا تخاصمه، فالخصام الطويل يوجد التوتر في البيت، وإذا صالحته فلا تذكره بمعارك الماضي؛ لأن الرجل سريع النسيان، فإذا ذكرته زوجته بالأزمات التي وقعت بينهما أوحت إليه أن زواجهما لا يمكن أن يدوم لكثرة ما فيه من خناقات وأزمات. إذا فعلت المرأة ذلك رفرفت السعادة على بيتها دوماً»

اذكري يا سيدتي أنك تصنعين زوجك! منذ بضعة شهور وضعت مس بركيتر وزيرة العمل الأمريكية كتاباً عن الرئيس روزفلت، وعلق أحد كبار الكتاب على فصل هام في فصول الكتاب قال: «استوقف نظري الفصل الذي كتبته مس بركيتر عن إصابة روزفلت وهو في الأربعين من عمره بشلل الأطفال، كيف استحال هذا الشاب المتحرك إلى جثة مسجونة في الفراش! رجل يتحول إلى طفل، يجب أن يحمل من غرفة إلى غرفة، لا يستطيع أن يتناول طعامه بيده، لا يستطيع أن يدخل وحده إلى الحمام، وأحس روزفلت أن حياته تحطمت، وآماله أصبحت رماداً وأنه سيعيش باقي حياته مقعداً كسيحاً يحمل على نقالة، أو يوضع في كرسي متحرك. شأنه شأن الشحاذين الذين كان يراهم يتجولون في شوارع نيويورك! ... ثم جاءت زوجته واستطاعت أن تقوم له بوظيفة الساقين واليدين! كانت تذهب إلى المجتمعات وتجيء له بصورة كاملة لما يجري فيها، وكأنه كان هناك! كانت تشهد الاجتماعات الكبرى وتقص على زوجها ما رأته وسمعته، فيراها بعينيها ويسمعها بأذنيها! ثم لاحظت أن الوحدة تقتله فكانت تجيء له بكبار الشخصيات لتجتمع به وتتحدث إليه، في يوم تأتي له بمؤلف، أو بمحاضر عظيم أو برسام ممتاز، أو بسياسي كبير ... ولم يلبث أن شعر روزفلت أنه لم يخرج من الدنيا، وأن صلته بالعالم مستمرة، وراحت هذه المرأة تملأ حياة زوجها مرحاً، ومع المرح جاءت الثقة بالنفس، ومع الثقة بالنفس بدأت محاولة روزفلت أن يتغلب على المرض وأن يحتقره ... لم تذكر له يوماً أنه مريض وأنه يحتاج إلى الراحة، بل أشعرته أنه قوي ويستطيع وهو مشلول أن يفعل ما لا يفعله الأقوياء وصحبته إلى مشتى وراحت تدربه على السباحة وهو مقعد! واشترت له سيارة يستطيع أن يقودها بغير أن يستعمل قدمه، وأزالت من نفسه مركب النقص بأنه لا يستطيع أن يظهر في مجتمع وهو يستند إلى عكازين! وذات يوم اقترح عليه احد أصدقائه أن يرشح نفسه محافظاً لنيويورك وهو أعظم منصب في أمريكا بعد رئيس الجمهورية وتردد روزفلت فإن هذا الترشيح يستوجب عليه أن يطوف بجميع الشوارع ويحضر جميع المجتمعات، فكيف يفعل ذلك وهو مقعد كسيح! ولكنها قالت له «تستطيع أن تفعل ذلك».

وذهب إلى الاجتماع الأول! ورفضت الزوجة أن يحمل زوجها إلى الاجتماع قبل أن يحضر الناخبون حتى لا يرونه وهو يزحف على بطنه إلى منصة الاجتماع! وأصرت أن يحدث هذا في وجود جميع الناخبين! وحملوا روزفلت على نقالة إلى الاجتماع ... وأدخلوه من احد أبواب الصالة، وبدأوا ينقلونه إلى المسرح، ولهث الناس وهم يرون هذا المنظر المؤثر الحزين! وبدأ روزفلت يزحف حتى وقف مستنداً إلى ذراع أحد الرجال، ثم استند إلى المنصة، ثم رتب شعره المنكوش أثناء النقل. ثم ابتسم كأن شيئاً لم يحدث على الإطلاق، عندئذٍ دوت القاعة بالتصفيق! هذه الابتسامة كان فيها معنى النصر على المرض والشلل، هذه الابتسامة جعلت كل من في القاعة يؤمن بأن هذا الرجل الذي يقابل كل هذا الهوان بابتسامة لا بد أنه رجل عظيم! وشعر كل رجل ضعيف أنه هذا المرشح! بعضهم مشلول بالفقر، وبعضهم مشلول بالمرض، وبعضهم مشلول بالوحدة، وبعضهم مشلول بخيبة أمل في حب أو عمل! هذا المنظر أعطى كل واحد منهم ثقة في نفسه وثقة في هذا الرجل الذي تقدم للانتخاب! وفاز روزفلت في انتخابات محافظ نيويورك، وبعد سنوات فاز في انتخابات رياسة الجمهورية، واستطاع هذا الرجل المقعد أن يحكم أمريكا ستة عشر عاماً، وأن يطوف العالم، وأن يزور ميادين القتال وأن يقود الحرب العالمية الكبرى ... وهو مستند إلى عكاز ... وكان هذا العكاز هو «زوجته المؤمنة» وأنت يا سيدتي تستطيعين أن تكوني هذه الزوجة! وهمسة أخرى قبل أن أنهي حديثي معك امدحي زوجك، واخضعي له، في سنة ١٩٥٢، نشرت إحدى المجلات الكبرى قصة الدكتور شاخت «العبقرية الطائرة» في عالم المال، وسامع حديث شاخت عن زوجته: «إن زوجتي تقول إنها إذا تحدثت عني فلن يصدقها أحد، إذ أنها لا ترى فيّ غير المحاسن، إننا متزوجان منذ سنين، وقد أصبحت زوجتي شديدة التعلق بي، بحيث لم تعد ترى في تصرفاتي ما لا يرضي» فليتك تتصرفين هكذا مع زوجك!!

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

في حياة الملكة فيكتوريا ملكة الإنجليز السابقة قصة لطيفة، فقد تشاجرت في يوم ما مع زوجها «ألبرت» وكان من عادته عندما يغضب منها أن يدخل حجرته ويغلق بابها من الداخل وينشغل في رسم صور زيتية، وأرادت الملكة أن تتصل بزوجها فذهبت إليه وقرعت الباب، وأجاب هو من الداخل قائلاً «من الطارق؟» قالت أنا ملكة إنجلترا وإمبراطورة الهند» فم يجبها بكلمة، وعادت الملكة تقرع الباب وأجاب ألبرت: «من الطارق؟» قالت أنا ملكة إنجلترا» فلم يرد جواباً، وللمرة الثالثة قرعت الملكة الباب وسأل ألبرت «من الطارق؟» وفي تواضع أجابت الملكة «افتح يا ألبرت أنا زوجتك» وفتح الرجل الباب.

بقي أن أهمس في أذنك يا سيدتي بهذه العبارة: «ادفعي زوجك للذهاب إلى بيت الله، ادفعيه أن يحب الله، والكتاب المقدس، فإن الرجل الذي يحب الله، يحب بيته وزوجته».

واسمع الآن يا صديقي الزوج العزيز!!

إن في وسعك أن تجعل بيتك فردوساً أرضياً، وذلك بأمور بسيطة للغاية!! أولها أن تغدق على زوجتك من حبك، وحنانك، وعطفك ... بحق قال رسول الأمم «أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها» فمقياس حب الرجل لامرأته هو مقياس حب المسيح للكنيسة، وأي رجل في الوجود يحب زوجته بهذا المقياس الرفيع ... إن الحب يجعلك ترى محاسن زوجتك.

كتب كاتب فرنسي نصيحة للأزواج قال فيها: «إذا كانت زوجتك جميلة لا تقل لها ذلك فإنها تعرف أنها جميلة، قل لها إنها ماهرة ... وإذا لم تكن جميلة، قل لها أنها حسناء في عينيك وعندها ستحمد الله أنها تزوجت من رجل يرى الجمال بروحه لا بعينيه ولذلك ستحبك إلى الأبد».

وكلمة أخرى أهمس بها في أذنك، حاذر من أن تسمح لأهلك بالتدخل بينك وبين زوجتك، إن معظم الحموات – وليسامحنني في هذا الكلام – لا يرفقن بزوجات أولادهن، والكثيرات منهن عندهن عقدة نقص تدفعهن إلى تنغيص حياة أولادهن عن حسن نية، والرجل العاقل هو الذي لا يسمح لأهله أو لأهل زوجته أن يتدخلوا في علاقاته مع زوجته، أو يرشده إلى كيفية معاملتها! لقد قال السيد له المجد «أن الذي خلق من البدء خلقهما ذكراً وأنثى وقال. من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً. إذاً ليس بعد اثنين بل جسد واحد. فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان» متى ١٩: ٤ – ٦ فلتكن هذه الكلمات عصائب بين عينيك حتى تحفظ لك سعادتك الزوجية.

ودعني أهمس في أذنك بكلمة هامة؟ كن سياسياً في داخل بيتك: لقد كان جلادستون المنافس الأكبر لدزرائيلي رجلاً عنيداً، ولكنه كان ينقلب إلى حمل عندما يحتويه البيت، كان إذا نزل البهو لتناول إفطاره واكتشف أن سائر أهل المنزل ما زالوا نياماً صاغ تأنيبه في أسلوب فكه ظريف إذ جعل يصيح بأعلى صوته، ويملأ جو البيت بنغمات نشاز مشوشة تذكر أهل البيت بأن أكثر الرجال ازدحاماً بالعمل في الإمبراطورية ينتظر إفطاره! نعم كان جلادستون في البيت سياسياً كيساً لا يقدم على النقد إطلاقاً، ولا يسوق اللوم صريحاً. فاعمل بنصيحتي يا صاحبي ولا تنتقد.

وهناك همسة ضرورية اعمل بها لتسعد في زواجك وهي أن تمنح زوجتك التقدير المخلص. إنك تريد منها أن تشبع غرورك، ولا بد أن تشبع أنت أيضاً كرامتها ... كتب أحدهم عن زوجته قال «إنني مدين لزوجتي بالشيء الكثير، فقد عاونتني على شق طريقي في الحياة، وادخرت كل قرش أمكن ادخاره، وجعلت لي من ذلك ثروة تنفع في الأيام السود، وقد أنجبنا خمسة أطفال فأحسنت تربيتهم، ووسعها أن تهيء لي من البيت جنة فيها النعيم المقيم، فلو أنني بلغت في الحياة شأواً مذكوراً، فالفضل كل الفضل يرجع إليها» فهل تذكر لزوجتك جميل صنعها. افعل هذا فتسعد!!

أخيراً خذ هذه الباقة من الزهور وجمل بها بيتك، لا تختلق النكد لأتفه الأسباب، ودع شريكة حياتك تنطلق على

سجيتها وتحس أنها في بيتها، ولا تنتقد، وامنح زوجتك التقدير، ولا تهمل أبداً إعجابك بالفستان الذي تلبسه والطعام الذي صنعته بيديها وكن سياسياً، وحاذر من أن تفرق في معاملتك بين أولادك فتمنح الذكور التقدير وتغمط الإناث حقهم من العطف. لئلا توجد عقد نقص في حياة بناتك، وتولد الحسد والغيرة في قلوبهن وتدفعهن إلى البحث عن الحب خارج البيت، أو إلى الحزن والانطواء. واقرأ كتاباً محترماً من الناحية الجنسية، وادرس في روح الصلاة الإصحاح السابع من رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس ... ثم اسمع في الختام هذه الكلمة:

اجعل الرب يسوع ملك بيتك:

فوجود المسيح في البيت يمنع عن البيت كل شر، ويطرد منه الصور الخليعة، والروايات الماجنة، وزجاجات الخمر، وأوراق اللعب، وعلب السجائر، ويسكت أصوات الأغاني لتحل محلها الترانيم، ويجعل من بيتك سماء صغيرة على الأرض.

يسجل لنا يوحنا في بشارته صورة للتلاميذ في السفينة في ظلام الليل البهيم، والبحر في هياج من ريح عظيمة تهب، والتلاميذ يحاولون أن يحتفظوا بالسفينة في أمان ولا يقدرون. هذه صورة كل بيت خال من المسيح، فهو عرضة لرياح المشاجرات، وزوابع المخاصمات، وقارص الكلمات، بل هو مسرح لأقسى العذابات، وكل محاولة لإسعاد بيت كهذا تضيع مع الريح ... لكن يوحنا يختتم قصته بمجيء الرب يسوع، فلما جاء «رضوا أن يقبلوه في السفينة وللوقت صارت السفينة إلى الأرض التي كانوا ذاهبين إليها» يو ٦: ٢١.

أجل عندما ترضى بقبول الرب في بيتك، يدخل بدخوله السلام المقيم، وعندئذٍ تستطيع أن ترى أن:

وجه يسوع هو نور البيت

وحضور يسوع هو فرح البيت

واسم يسوع هو أنشودة البيت

وعمل يسوع هو موضوع مشغولية البيت

وخدمة يسوع هي شغل البيت

ويسوع نفسه هو رب البيت.

وهذا هو السر الأعظم للسعادة الزوجية.

الفصل السابع: الألم في اختبار الفرد

لماذا يسمح الله بآلام أولاده؟ ولماذا يرضى بآلام الأبرياء؟ لا شك في أن الألم هو القاسم المشترك الأعظم في هذا الوجود، وهو الميراث القديم الذي لا بد أن يرثه كل فرد، ومع أن طبيعة البشر تنفر من الألم، وتهرب من العذاب إلا أن الألم هو «الطبيب الأعظم» للإنسانية في هذه الأرض.

يقيناً أن الحيرة تأخذنا عندما نفكر في كثير من الآلام التي تصادف المؤمنين القديسين، فنقف أمامها في تأمل عميق، فلماذا يرضى السيد له المجد أن يموت بطرس الرسول منكس الرأس على صليب، ويقول له «لما كنت أكثر حداثة كنت تمنطق ذاتك وتمشي حيث تشاء. ولكن متى شخت فإنك تمد يديك وآخر يمنطقك ويحملك حيث لا تشاء قال هذا مشيراً إلى أية ميتة كان مزمعاً أن يمجد الله بها» يو ٢١: ١٨ و ١٩، بل لماذا يسمح الرب أن يقتل بولس رسول الأمم والجهاد في روما بسيف نيرون؟ وأن تنتهي حياة يعقوب الرسول بسيف هيرودس الماجن؟!

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

قالت لي سيدة رقيقة القلب، ما زالت في سن الشباب مات زوجها في حادث أليم، قالت لي والدموع تملأ عينيها: لماذا سمح الله بأن يموت رجلي وهو ما زال في ربيع العمر؟! والسؤال لماذا يسمح الله؟ هو السؤال الخالد على جميع الشفاه! هو سؤال من فقد ماله، أو زوجه، أو عياله، أو صحته، أو مركزه، هو سؤال الفاشل في الحياة، والفاشل في الامتحانات والدراسات!!

ولا جدال في أن الكتاب المقدس يريق كثيراً من النور على آلام البشر، ويعلن لماذا يسمح الله بهذه الآلام؟

١- إن الله يسمح بآلامنا حتى نعود إليه ونرتاح بين يديه:

لنسمع كلمة الرب في سفر هوشع وهو يتحدث إلى إسرائيل المرتد «لأن أمهم قد زنت – أي خانت الرب – التي حبلت بهم صنعت خزياً. لأنها قالت أذهب وراء محبي الذين يعطون خبزي ومائي صوفي وكتاني زيتي وأشربتي. لذلك هأنذا أسيج طريقك بالشوك وأبني حائطها حتى لا تجد مسالكها فتتبع محبيها ولا تدركهم وتفتش عليهم ولا تجدهم. فتقول أذهب وأرجع إلى رجلي الأول لأنه حينئذٍ كان خير لي من الآن» هوشع ٢: ٥ – ٧ .

أجل، لقد وضع الله الأشواك في طريقي أولاده، حتى يعودوا إليه، بل أنه أكثر من ذلك بنى حائط هذا الطريق حتى لا يجدوا المسالك التي تبعدهم عنه، وهذا ما نقرأه عن الملك منسي، الذي عندما أغراه سلطان الملك، دنس هيكل الله بالأصنام، وعندئذٍ استخدم الله الألم لإرجاعه فأرسل إليه جنود ملك أشور «فأخذوا منسي بخزامة وقيدوه بسلاسل نحاس وذهبوا به إلى بابل. ولما تضايق طلب وجه الرب إلهه» ٢ أخبار ٣٣: ١١، فما أجمل أن نشكر الله في آلامنا أضعاف ما نشكره في مسراتنا، لأن الآلام هي طريق عودتنا إليه كما نقرأ عن يهوذا وبنيامين أنهم «رجعوا عندما تضايقوا إلى الرب» ٢ أخبار ١٥: ٤

٢- إن الله يسمح بآلامنا حتى تلمع حياتنا وتخلو من الزغل:

أتدري ما هو أصل الماس؟ ذلك الحجر الكريم اللامع الخلاب الذي يجذب الأبصار بلمعانه؟! إن هذا الحجر هو كربون نقي، أي فحم متبلور بلورات مختلفة، كلها مشتقة من الشكل المكعب ... إن الماس هو ذات الفحم الذي يستعمل وقوداً في المنازل والمصانع، غير أن هذا الفحم قد انصهر في باطن الأرض في درجة حرارة عالية جداً، فتبلور وصار نقياً ... صار ألماساً.

ومرات يصهر الرب حياتنا ليخرج الزغل منها. ويجعل منا آنية للكرامة نافعة لخدمته «لأنه مثل نار الممحص ومثل أشنان القصار فيجلس ممحصاً ومنقياً الفضة فينقي بني لاوي ويصفيهم كالذهب والفضة ليكونوا مقربين للرب تقدمة بالبر» ملاخي ٣: ٢ و ٣

ومن ذا الذي أظهر لمعان حياة الفتية الثلاثة ومحبتهم للرب سوى أتون النار المتقدة سبعة أضعاف؟! ومن ذا الذي أعلن لمعان حياة بولس سوى الشوكة التي أعطاه إياها الله؟

هل تعرف كيف تصنع القوقعة اللآلئ؟ تدخل حبة رمل إلى داخل الصدفة التي تحتويها وتؤلم جسم القوقعة الحساس، فبدلاً من أن تبكي القوقعة متذمرة من شدة آلامها، تبدأ في إفراز مادة من جسدها في مكان الألم، وتتبلور هذه المادة قليلاً قليلاً إلى أن تصير لؤلؤة ....

حدثنا دكتور ستانلي جونس في كتابه «المسيح والآلام البشرية» عن رجل شغل منصباً من أرقى المناصب في الهند، سئل مرة عن الجامعة التي تخرج منها فقال «جامعة الألم» فقد حالت ظروفه دون الاستمرار في العلم، لكن الله أدخله مدرسة الألم وعلمه أفضل الدروس! وما زال الرب يعمل هذا مع كثيرين وكثيرات من أولاده وبناته.

٣- إن الله يسمح بآلامنا حتى يظهر إيماننا للعالم المحيط بنا:

يكتب بولس الرسول إلى الفليبيين قائلاً «لأنه قد وهب لكم لأجل المسيح لا أن ترمنوا به فقط بل أيضاً أن تتألموا لأجله» فيلبي ١: ٢٩ ولقد كانت آلام الشهداء بغير شك سبباً في بناء الكنيسة على هذه الأرض، لأنها أعلنت إيمان هؤلاء الأبطال أمام المضطهدين الأشرار.

يحدثنا مستر فوكس في كتابه «الشهداء» عن سيدة شابة اسمها «بربتيوا Perpetua» في السادسة والعشرين من عمرها. آمنت بالرب يسوع المسيح، فحكمت عليها السلطات الوثنية بأن تطرح للحيوانات المفترسة جزاء إيمانها، ويصورها الكاتب الجليل، وطفلها الصغير الجميل على صدرها، ووالدها الشيخ الوقور يتوسل إليها أن تنكر إيمانها لأجل خاطر طفلها، وأبيها، وتقدم القرابين لآلهة الرومان. لكن «بربتيوا» بدلاً من أن تتخلى عن فاديها تخلت عن ابنها وأبيها ووقفت تنتظر اللحظة التي تدخل فيها إلى ساحة الموت!!

لكن لماذا رضي الله لهذه الفتاة، ولعشرات الشهداء معها أن يموتوا بين براثن الأسود؟! إن السر في هذا كله بحسب اعتقادي هو أن الله أراد أن يقول للناس أنه يوجد أشخاص عاشوا مثلهم على الأرض أحبوه أكثر من أولادهم، ومن أنفسهم، وماتوا باسمين لكي يحيوا معه في المجد الأسنى.

وهكذا يقود الله الكثيرين بواسطة الإيمان الظافر المنتصر إلى صليب محبته واختبار خلاصه.

فالنصرة على الألم، هي انتصار لله في قديسيه، وهل يمكن أن نرى منظراً كمنظر استفانوس الشهيد الأول في الكنيسة المسيحية، والعيون الغاضبة تنظر إليه، وأسنان سامعيه تصر من فرط حنقهم عليه، وهو يشخص إلى السماء، وهو ممتلئ من الروح القدس، فيرى مجد الله ويسوع قائماً عن يمين الله، ولا نمتلئ دهشة؟! بل هل يمكن أن نتأمل هذا الشاب الظافر والأشرار يرجمونه، والحجارة تمزق جسده وهو يدعو ويقول «يا رب لا تقم لهم هذه الخطية» أع ٧: ٦٠ ولا تمتلئ أفواهنا هتافاً لمجد الله.

يقيناً أن الآلام تظهر إيمان المؤمنين أكثر من آلاف المواعظ ومئات الترانيم!!

منذ وقت ليس ببعيد ذكرت إحدى الصحف الكبرى قصة امرأة اسمها «دورتيا كوبنج» قال لها الأطباء إنها لن تعيش طويلاً وكانت تتألم من مرض عسير الشفاء، لكن المرأة بدلاً من أن تستسلم للدموع أو تقضي بقية حياتها في الأحزان نظرت إلى الله ووضعت كتاباً هاماً أسمته «فن الحياة» وسجلت في هذا الكتاب خلاصة اختباراتها في معاملة الناس، ونظرتها إليهم وهي على شاطئ الأبدية!! وبهذه الكيفية انتصر الله في هذه المرأة العظيمة التي حولت آلامها بنعمته إلى بركات» .... وذكرت صحيفة أخرى منذ وقت قصير قصة تلك النبيلة الإنجليزية الكونتس أوف وارنلي، فقد فقدت هذه السيدة نور عينها اليمنى منذ ولادتها، وعرضها والدها على مئات من أطباء العيون، فأجمعوا على أن نور العين اليمنى لن يعود، ثم تزوجت الكونتس ومرضت ابنتها الصغيرة بالشلل، وأجمع الأطباء على أنه لا أمل في شفائها، وفي غمرة آلام هذه الأم المسكينة راحت تتطلع إلى السماء وتقول: يا رب، لقد أخذت عيني، فلا تأخذ قلبي؟ فإن ابنتي هي قلبي! يا رب أنا مؤمنة بك واثقة بمحبتك برغم كل ما أصابني، فلا تهز إيماني ... واستمرت تدعو الله حوالي العام! فجأة قال لها الأطباء: لقد حدثت معجزة، إن ابنتك ستشفى! وما كادت الأم تسمع كلام الطبيب حتى فتحت النافذة وتطلعت إلى السماء لتشكر الله .... ولما أغلقت النافذة: أحست بشيء غريب! أحست كأن الغشاوة التي على عينها اليمنى ترتفع ببطء ... وبدأت ترى بهذه العين خيالات، ثم أشباحاً، ثم أجساماً، ثم بدأت تميز هذه الأجسام ثم عاد لها البصر كاملاً ... وقال الناس: معجزة ومجدوا الله. لقد وضعت هذه المرأة إيمانها في القدير، ولم يمنعها الألم من الثقة في محبته فحول الله آلامها إلى مسرات، وأعلن لمعان إيمانها للناس.

٤- إن الله يسمح بآلامنا ليدربنا على فضيلة الصبر ويعدنا لمركز أسمى في هذه الحياة:

هذا هو ما يقرره يعقوب الرسول في كلماته «احسبوه كل فرح يا إخوتي حينما تقعون في تجارب متنوعة عالمين أن امتحان إيمانكم ينشئ صبراً. وأما الصبر فليكن له عمل تام لكي تكونوا تامين وكاملين غير ناقصين في شيء»

يعقوب ١: ٢ – ٤ وفي الواقع أننا نحتاج إلى الصبر في عصر الكهرباء والذرة الذي نعيش فيه كما يقول كاتب العبرانيين «لأنكم تحتاجون إلى الصبر حتى إذا صنعتم مشيئة الله تنالون الموعد» وأين نتعلم الصبر إلا في مدرسة الألم؟! عندما يوقف الله عجلة حياتنا بمرض مفاجئ؟ أو يوقف اتساع آمالنا البشرية بفشل غير منتظر، في التجارة، أو الزراعة، أو الامتحان، أو الحياة العائلية.

لقد كان يوسف شاباً مدللاً في بيت أبيه، فاحتاج أن يتدرب على الصبر في مدرسة الألم فوضعه الله في بيت السجن ليصنع منه شخصية عظيمة من شخصيات التاريخ.

وكان أيوب رجلاً تقياً، لكنه احتاج أن يتعلم الصبر فتعلمه في غمرة أحزانه حتى صار مثالاً للصابرين قال عنه يعقوب «قد سمعتم بصبر أيوب ورأيتم عاقبة الرب».

ويحدثنا التاريخ عن سيدة أمريكية اسمها فرنسيز ماتيلدا» تزوجت من رجل عبقري هو الكاتب «روبرت لويس ستيفنسون» ذلك الرجل الذي ألف أجمل الكتب، وكان الرجل يوم تزوجته فرنسيز مصاباً بالتدرن الرئوي ذلك المرض المخيف الذي يأكل جسم الإنسان لكن المرأة العظيمة لم تعتبر نفسها يوم تزوجت هذا الرجل المريض فريسة أخطأت الاختيار ولم تتذمر؛ ولم تتراجع، بل أخلصت لزوجها كزوجة وفية أمينة ورعت ذلك الرجل وسهرت على صحته، وشرعت تطوف به البحار وتصعد به الجبال، إلى أن أبل من مرضه وكتب للعالم كتبه الباقية الأثر، اسمع كلمات الرجل الذي سجل فضل زوجته العظيمة عليه في آخر كتبه، إنه يهدي إليها الكتاب بهذه العبارات «خذي لك هذه الكتابة فإنها من حقك، إذ من غيرك الذي صقل السيف، ونفخ في الفحم الهامد، ورفع الدرع، وزهد في الثناء، وسخا بالرأي والنصيحة ... من سواك».

فيا أخي هل أنت فريسة لآلامك، أم أنت بطل منتصر ظافر بقوة الله، ويا أختي هل حياتك مجرد مأساة مريرة، أم أنت قد حولت دموعك إلى خدمات؟! ليقل كل متألم حزين «أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني»

ولنذكر دائماً في تجاربنا هذه الكلمات المشجعة التي قالها رب المجد لبطرس «لست تعلم أنت الآن ما أنا أصنع ولكنك ستفهم فيما بعد يو ١٣: ٧

٥- إن الله يسمح بآلامنا ليزيد في أمجادنا:

هذه كلمات بولس الرسول «لذلك لا نفشل بل وإن كان إنساننا الخارج يفنى فالداخل يتجدد يوماً فيوماً، لأن خفة ضيقتنا الوقتية تنشئ لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبدياً» ٢ كو ٤: ١٦ و ١٧ «فإني أحسب أن آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا» رو ٨: ١٨

فعلى قدر آلامنا في هذه الأرض تزداد أمجادنا في السماء «إن كنا نتألم معه لكي نتمجد أيضاً معه» والكثيرون منا عندما يرفع ستار المنور ويروا غير المنظور، سيتمنون لو أن آلامهم تضاعفت وهم في الجسد؛ لكي تتضاعف مسراتهم في المجد.

فيا نفسي اصبري في عالم الدموع

وسيري معتمدة على ذراعي المسيح يسوع

فبعد قليل جداً سينتهي كل اختبار مرير

عندما يأتي مخلصك الوطيد

سر الاختبار المجيد.

الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل هي هيئة إرسالية مسيحية شغفها نشر كلمة الله في العالم العربي عبر الإنترنت وعبر وسائل إلكترونية أخرى. وتقوم بتوزيع الكتاب المقدس مجاناً للجالية العربية في أمريكا الشمالية والقطر العربي وبلدان العالم. بالإضافة إلى مجموعة من الأقراص المضغوطة التي تحتوي على كتب روحية، عظات، تراتيل والكتاب المقدس.

لمزيد من المعلومات الرجاء الإتصال بنا.

يحفظكم الله ويملأ حياتكم بالصحة والسعادة والسلام.

أسرة الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل